فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

المنار

١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق

(مصر سلخ رمضان ١٣٣٠ هـ ق ٢٠ الصيف الثالث ١٢٩١ هـ ش ١١ سبتمبر ١٩١٢ م)

باب تفسير القرآن الحكيم

على الطريقة التي كان يلقيها في الأزهر الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده رضي الله عنه

(١٤١ : ١٤١) إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ ، وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَوٰةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا (١٤٢ : ١٤٢) مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَا إِلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَلَا إِلَىٰ هَٰؤُلَاءِ ، وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا (١٤٣ : ١٤٣) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ، أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا (١٤٤ : ١٤٤) إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا (١٤٥ : ١٤٥) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا

وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ، وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا (١٤٦ : ١٤٦) مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ ؟ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا

اتصال هذه الآيات بما قبلها ظاهر فانها تتمة الكلام في المنافقين الذين كثر في هذه السورة بيان أحوالهم هم وأهل الكتاب وباقيها في بيان أحوال أهل الكتاب اليهود والنصارى جميعاً ومحاجتهم الا الآية الاخيرة

﴿ ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم ﴾ تقدم الكلام في مخادعة المنافقين أول سورة البقرة ولكني لا أتذكره الآن وأنا أكتب هذا في السفر والجزء الأول من التفسير ليس معي فاراجعه . كانت العرب تسند الخداع الى الضب كما اشتقت كلمة النفاق من جحره الذي سمي النافقاء ، وهو انما يخدع طالبه بجحره ، قيل لانه يجعل له بابين اذا فوجئ من أحدهما هرب من الآخر ، وقيل انه يعد عقربا فيجعلها في بابه لتلدغ من يدخل يده فيه ، ولذلك قيل: العقرب بواب الضب وحاجبه . ومن أمثالهم « أخدع من ضب » ويقولون : طريق خادع وخيدع . أي مضل كأنه يخدع سالكه فيحسبه موصلا الى غايته أو قريبا وهو ليس كذلك . والخداع صيغة مشاركة ، ومعناه الذي يؤخذ مما ذكرنا من استعمالهم هو إيهامك ان الشيء أو الشخص على ما تحب أو تريد وهو على غير ما تحب وما تريد كما يوهم جحر الضب من يريد صيده انه قريب المنال ليس دونه مانع فاذا مد يده اليه لدغته العقرب ، فان لم يكن هنالك عقرب خرج الضب من الباب الآخر ورجع الصائد بخفي حنين ، وكما يوهم الطريق الخيدع سالكه فيضل دون الغاية التي يطلبها .

قال الراغب « الخداع إنزال الغير عما هو بصدده بأمر يبديه على خلاف ما يخفيه قال تعالى « يخادعون الله » أي يخادعون رسوله وأولياءه ونسب ذلك الى الله تعالى من حيث ان معاملة الرسول كمعاملته ولذلك قال « ان الذين يبايعونك

انما يبايعون الله » وجعل ذلك خداعا له تفظيعا لفعلهم وتنبيها على عظم الرسول وعظم أوليائه . وقول أهل اللغة:إن هذا على حذف المضاف وإقامة المضاف اليه مقامه ، فيجب أن يعلم ان المقصود بمثله في الحذف لايحصل لو أتي بالمضاف المحذوف لما ذكرنا من التنبيه على أمرين أحدهما فظاعة فعلهم فيما تحروه من الخديعة وأنهم بمخادعتهم اياه يخادعون الله ، والثاني التنبيه على عظم المقصود بالخداع وأن معاملته كمعاملة الله وأعاد هنا الاستشهاد بآية المبايعة

أقول فسر مخادعة الله عز وجل بمخادعة رسول الله (ص) وأوليائه وهم الصحابة (رض) لان المعاملة كانت بين المنافقين وبينهم ، ولأن المؤمنين بالله لا يقصدون مخادعته ، والمعطلين لايؤمنون بوجوده والمعدوم لا تتوجه النفس الى معاملته ، فان قيل : ان هؤلاء هم الذين قال الله فيهم أول سورة البقرة « ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين » وقد عزا اليهم المخادعة هنالك في الآية التي بعد هذه الآية ، وذكرت في تفسيرها عن الاستاذ الامام أنهم صنف ثالث غير المؤمنين والكافرين الذين ذكروا نعت في آيات أخرى وأن المراد بهم أن إيمانهم بالله على غير الوجه الصحيح فلا يعتد به ومن كان هذا شأنه لا يبعد أن تصدر عنه مخادعة الله تعالى كما يفعل الذين يحتالون على منع الزكاة وأكل الربا بتطبيق حيلهم على أقوال لفقهائهم وهم يعلمون ان هذا مخالف لمراد الله تعالى من ايجاب الزكاة ومنع الربا وهو الرحمة بالفقراء والمساكين ومواساتهم واعانة سائر أصناف المستحقين للزكاة على الايمان والبر والخير ، وعدم أكل أموال الناس بالباطل . أقول : ان مثل هذا قد يقع من أهل الايمان التقليدي غير المطابق للحق ولكنهم لا يقصدون به مخادعة الله تعالى قصداً وانما هو جهل وضلال في معنى المخادعة

والوجه المعقول للتعبير عن مخادعة الرسول والمؤمنين بمخادعة الله عز وجل هو أنهم يخادعونهم فيما يقيمون به دين الله و يعملون بما أنزل اليهم منه لا في المعاملات الشخصية الدنيوية كالبيع والشراء والمعاشرة فان المخادعة في مثل هذا قد تكون مباحة أو مكروهة اذا لم يكن فيها غش ولا ضرر والمحرم منها لضرره لا يصل الى

درجة المخادعة في شؤون الايمان وتبليغ دين الله واقامة كتابه فيكون من قبيل المخادعة له ، وهـذا الوجه يتضمن أيضا تعظيم شأن الرسول والمؤمنين في التعبير عن مخادعتهم بمخادعة الله تبارك وتعالى

وأما قوله تعالى « وهو خادعهم » فقد قيل ان معناه يجازيهم على خداعهم وانه عبر عن ذلك بالمخادعة للمشاكلة كما قال في آية أخرى « ومكروا ومكر الله » وانما جعلوه من المشاكلة لان هـذا اللفظ كلفظ المكر قد استعمل في التعبير عن المعاني المذمومة التي تتضمن الكذب غالبا أو تدل على ضعف صاحبها وعجزه وغلب ذلك فيه والافان الخداع قد يكون في الخير ، ولأجل حماية الحقيقة وإقامة الحق ، وقد أباح الشرع الخداع في الحرب لان الحرب في الاسلام لاتكون الا للدفاع عن الملة والأمة ، ولحماية الدعوة ، وفي الحديث « الحرب خدعة » فيجوز أن يعبر عن سنة الله تعالى في عاقبة أمرهم عاجلها وآجلها من حيث انها تكون على خلاف ما يحبون وما يريدون بلفظ مشتق من الخديعة كأنهم بخداعهم للرسول والمؤمنين يسيرون في طريق خادع يضلون فيه مطلبهم وينتهون الى الخزي والنكال ، من حيث يطلبون السلامة والفلاح ، وهذا يلاقي قوله تعالى في سورة البقرة « يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون الا أنفسهم وما يشعرون » فخداعهم لانفسهم بسوء اختيارهم لها هو عين خديعة الله تعالى لهم اذ كانت سنته فيمن يعمل عملهم ما أشرنا اليه آنفا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة . ولفظ « خادعهم » اسم فاعل من الثلاثي والذي يسبق الى ذهني أنه يدل على الغلبة (وهو ما تضم عين فعله المضارع) أي وهو تعالى يغلبهم في الخديعة بجعل خداعهم عليهم لالهم ،

هذا شأن المنافقين في كل ملة وامة ، يخادعون ويكذبون ، ويكيدون ويغشون ، ويتولون أعداء أمتهم ، ويتخذون لهم يدا عندهم ، يمتون بها اليهم اذا دالت الدولة لهم ، وسيأتي في الآية التي بعد هذه بيان ذبذبتهم ، ولـكن لايخفى على كل من الامتين حالتهم ،

ومهما تكن عند امرىء من خليقة وان خالها تخفى على الناس تعلم

فهم يهدمون بناء الثقة بهم بأيديهم ، وكأين من منافق كانت خيانته لامته ومساعدة

اعدائها عليها سببا لهلاكه بأيدي اولئك الاعداء أنفسهم ، وقولهم : لوكان في هذا خير لكان قومه أولى بخيره منا ونحن اعداؤه وأعداؤهم ، فان كان قد خانهم فستكون خيانته لنا أشد . والناس يقرؤون أخبار هؤلاء الاشرار في كتب التأريخ ولا يعتبرون ، ويكثر هؤلاء المنافقون في طور ضعف الامة وقوة أعدائها لانهم طلاب المنافع ولو فيما يضر أمتهم والناس اجمعين . وانما تلتمس المنافع من الاقوياء وان اقترن التماسها بالعار ، والذل والصغار

﴿ واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى ﴾ أي متثاقلين لارغبة تبعثهم ولانشاط لانهم لعدم إيمانهم لايرجون فيها ثوابا في الآخرة ، ولا يبتغون بها تربية ملكة مراقبة الله تعالى وحبه والانس بذكره ومناجاته لتنتهي نفوسهم بذلك عن الفحشاء والمنكر ، وتكون أهلا لرضوان الله الاكبر ، كما هو شأن المؤمنين الصادقين . وانما هي عندهم كلفة مستثقلة فاذا كانوا بمعزل عن المؤمنين تركوها . واذا كانوا معهم سايروهم بالقيام البها ، ﴿ يراءون الناس ﴾ بها ، أي يقصدون بذلك أن يراهم الناس المؤمنون فيعدوهم منهم ، فالكسل التثاقل عما ينبغي النشاط فيه ، والمراءاة ان يكون المرء الذي يرائيك بحيث تراه كما يراك فهو فعل مشاركة من الرؤية

﴿ ولا يذكرون الله الا قليلا ﴾ قيل معناه انهم لاينطقون الا بالاذكار الجهرية التي يسمعها الناس كالتكبيرات ، وقول « سمع الله لمن حمده ربنا لك الحمد » عند القيام من الركوع ، والسلام . وقيل ان المراد بالذكر هنا ذكر النفس ، وانما يقع هذا من المرتابين ، دون الجاحدين ، وقيل ان المراد به الصلاة أي لايصلون الا قليلا وذلك اذا أدركتهم الصلاة وهم مع المؤمنين . وكل هذه الاقوال قريبة، ويجوز ان تراد كلها من اللفظ عند بعض العلماء ، ولعل القول الثاني اقواها . هذه حال منافقي الصدر الاول ومنافقو هذا العجز الاخير شر منهم، لايقومون الى الصلاة ألبتة ، ولا يرون للمؤمنين قيمة في دنياهم فيراءوهم فيها ، وانما يقع الرياء بالصلاة من بعضهم اذا صاروا وزراء وحضروا مع السلاطين والامراء بعض المواسم الدينية

الرسمية ، وقلما يحضرون معهم غير المواسم المبتدعة كليلة المعراج وليلة النصف من شعبان وليلة المولد النبوي

﴿ مذبذبين بين ذلك ﴾ قال الراغب « الذبذبة حكاية صوت الحركة للشيء المعلق ثم استعير لكل اضطراب وحركة . قال تعالى «مذبذبين بين ذلك» أي مضطربين مائلين تارة الى المؤمنين وتارة الى الكافرين » وقيل بين الكفر والايمان . ويقوي الاول قوله ﴿ لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ﴾ أي لايخلصون في الانتساب الى واحد من الفريقين لانهم يطلبون المنفعة ، ولا يدرون لمن تكون العاقبة ، فهم يميلون الى اليمين تارة والى الشمال أخرى ، فمتى ظهرت الغلبة التامة لاحد الفريقين ادعوا أنهم منه ، كما بينه تعالى في الآية التي قبل هاتين الآيتين.

﴿ ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا ﴾ أي ومن قضت سنة الله في اخلاق البشر وأعمالهم ان يكون ضالا عن الحق موغلا في الباطل فلن تجد له أيها الرسول أو أيها السامع سبيلا للهداية برأيك واجتهادك ، فان سنن الله تعالى لاتتبدل ولا تتحول . هذا هو معنى اضلال الله تعالى الذي يتفق به نصوص كتابه بعضها مع بعض وتظهر به حكمته في التكليف والجزاء وليس معناه انه يلزم فطرة بعض الناس على الكفر والضلال فيكون مجبورا على ذلك لاعمل له ولا اختيار فيه كعمل المعدة في الهضم ، والقلب في دورة الدم ، كما توهم من لاعقل له ولا علم

ومن مباحث اللفظ في الآيتين قولهم ان جملة « ولا يذكرون الله » حال من فاعل « يراءون » وكذا « مذبذبين » وقيل ان هذا منصوب على الذم

﴿ ياأيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين ﴾ ان هذا من فعل المنافقين ، يوالونهم وينصرونهم من دون المؤمنين لأنهم لايكرهون ان يكون لهم النصر والسلطان ، وان يلحقوا بهم ، ويعدوا انفسهم منهم ، ولا يكون هذا من مؤمن . حذر الله تعالى المؤمنين أن يحذو بعض ضعفائهم حذو المنافقين في ولاية الكافرين من دون المؤمنين أي من غير المؤمنين وفي خلاف مصلحتهم ، يبتغون عندهم العزة ، ويرجون منهم المنفعة ، فانه ربما تخدع

في بال صاحب الحاجة منهم ان ذلك لا يضر كما فعل حاطب بن بلتعة اذ كتب الى كفار قريش يخبرهم بما عزم عليه النبي (ص) في شأنهم لأن له عندهم أهلا ومالا . فالاولياء جمع وليّ من الولاية بكسر الواو وهي النصرة . واما الولاية بفتح الواو فهي تولي الأمر ، وقيل يطلق اللفظان على كلا المعنيين . والمراد هنا النصرة بالقول أو الفعل فيما ينافي مصلحة المسلمين . ومثله قوله تعالى في سورة المائدة « ياأيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض » الخ وان عمم بعض المفسرين في هذه ، والله تعالى يقول بعدها « فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة . فعسى الله أن يأتي بالفتح او أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين » وهؤلاء هم المنافقون ، فالخوف من اصابة الدائرة ، وذكر الفتح وندمهم اذا جعله الله للمؤمنين ، مما يدل على ان الولاية هنا ولاية النصرة لليهود والنصارى الذين كانوا حربا للنبي (ص) والمؤمنين ، فهو لا يشمل من ليسوا كذلك كالذميين اذا استخدمتهم الدولة في أعمالها الحربية أو الادارية بل لهؤلاء حكم آخر .

ولما كنت في الآستانة سنة ١٣٢٨ أحببت أن اعرف حال التعليم الديني في دار الفنون التي هي المدرسة الجامعة في عاصمة الدولة فلما دخلت الحجرة التي يقرأ فيها التفسير ألفيت المدرس يفسر آية المائدة هذه وعمدته تفسير البيضاوي (وهو الذي يقرأه أكثر المسلمين في مدارسهم الدينية) وهو يفسر الآية بعدم الاعتماد على اليهود والنصارى وعدم معاشرتهم معاشرة الأحباب (وهذا من أغرب اغلاطه) فلما قرر ذلك المفسر بالتركية قام أحد الطلبة وقال له : اذاً كيف جعلتهم دولتنا في مجلسي المبعوثين والأعيان وفي هيئة الوكلاء ؟ (أي وزراء الدولة) ففاجأ المدرس الحصر وخرج العرق من جبينه . فانه اذا قال ان عمل الدولة هذا مخالف نص القرآن ، خاف على نفسه من ديوان الحرب العرفي أن يحكم عليه بالإعدام ، ولم يظهر له في الآية غير ما قاله البيضاوي ، وهل للمقلد الا نقل مايراه في الكتاب؟ قلت له أتأذن لي أن أجيب هذا الطالب ؟ قال نعم . فقمت واقفا وبينت معنى الولاية وكيف كان حال النبي (ص) والمؤمنين مع أهل الكتاب وغيرهم في

صدر الاسلام وتحقيق كون الولاية المنهي عنها في الآية هي ولاية النصرة والمعونة لهم وكانوا محاربين ، وكون استخدام الذمين منهم في الحكومة الاسلامية لا يدخل في مفهومها بل له احكام اخرى والصحابة قد استخدموهم في الدواوين الأميرية والعباسيون جعلوا اسحق الصابي وزيرا ... فاقتنع السائل، وأفرخ روع المدرس، ولما علم بذلك مدير قسم الإلهيات والادبيات في دار الفنون اتخذه وسيلة لإصدار امر من ناظر المعارف بقراءة درس التفسير وكذا درس الحديث بالعربية ، في بعض السنين واراد أن يجعل ذلك وسيلة لجعلي مدرسا للتفسير ان أقمت في الآستانة

﴿ أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا ﴾ أي أتريدون ان تجعلوا لله عليكم يوم القيامة حجة بينة على استحقاقكم لعذابه اذا اتخذتموهم أولياء من دون المؤمنين ، لان هذا من عمل المنافقين ، فالسلطان بمعنى الحجة والبرهان . وقيل انه بمعنى السلطة ومعناه ان يسلطهم عليكم بذنوبكم ، ولكن وصف السلطان بالمبين أظهر في المعنى الاول . ويستعمل المبين بمعنى البين في نفسه ومعنى المبين لغيره . ثم بين تعالى جزاء المنافقين بعد بيان احوالهم التي استحقوا بها هذا الجزاء فقال :-

﴿ ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار ﴾ الدرك (بسكون الراء وبه قرأ الكوفيون وبفتحها وبه قرأ الباقون) عبارة عن الطبقة أو الدرجة من الجانب الاسفل، لان هذه الطبقات متداركة متتابعة ودل هذا على ان دار العذاب في الآخرة ذات دركات بعضها اسفل من بعض كما ان دار النعيم درجات بعضها أعلى من بعض ، نسأل الله ان يجعلنا مع المقربين من «أولئك لهم الدرجات العلى ، جنات عدن تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ، وذلك جزاء من تزكى »

وانما كان المنافقون في الدرك الاسفل من النار لانهم شر أهلها بما جمعوا بين الكفر والنفاق ومخادعة الله والمؤمنين وغشهم، فأرواحهم أسفل الارواح ، وانفسهم اخس الانفس ، وأكثر الكفار قد أفسد فطرتهم التقليد وغلب عليهم الجهل بحقيقة التوحيد ، فهم مع ايمانهم بالله يشركون به غيره، باتخاذهم شفعاء عنده، ووسطاء

بينهم و بينه ، قياسا على معاملة ملوكهم المستبدين ، وأمرائهم الظالمين ، وهم لا يرضون لانفسهم النفاق في الدين ، ومخادعة الله والمؤمنين ، والاصرار على الكذب والغش، ومقابلة هذا بوجه وذاك بوجه ، فلما كانوا أسفل الناس أرواحاً وعقولا كانوا أجدر الناس بالدرك الاسفل من النار . ﴿ ولن تجد لهم نصيرا ﴾ ينقذهم من عذابها ، أو يرفعهم من الطبقة السفلى الى مافوقها

﴿ الا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله ﴾ استثنى الله تعالى من ذلك الجزاء الشديد الذي أعده المنافقين من تابوا من النفاق والكفر بالندم على ما كان منهم مع تركه والعزم على عدم مفارقته وعزز وا هذه التوبة بثلاثة أمور (احدها) الاصلاح وهو انما يكون بالاجتهاد في أعمال الايمان التي تغسل ما تلوثت به النفس من اعمال النفاق كالتزام الصدق والنصيحة لله ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم والامانة التامة ، والوفاء ، وإقامة الصلاة بالخشوع والحضور ، ومراقبة الله تعالى وما اشبه ذلك (ثانيا) الاعتصام بالله ، وهو انما يكون بالتمسك بكتابه، تخلقا بأخلاقه وتأدبا بآدابه ، واعتبارا بمواعظه ، ورجاء في وعده ، وخوفا من وعيده، وانتهاء عن منهياته ، وائتمارا بأوامره ، بحسب الاستطاعة ، قال تعالى في سورة آل عمران «واعتصموا بحبل الله » وقال في سورة المائدة « يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وانزلنا اليكم نوراً مبينا * فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه وفضل ويهديهم اليه صراطا مستقيما » أي اعتصموا بهذا النور الذي انزل اليهم وهو القرآن المجيد ، وهو حبل الله في الآية الاخرى (ثالثها) اخلاص الدين لله عز وجل بأن يتوجه اليه وحده فلا يدعى من دونه أحد ، ولا يدعى معه أحد لا لكشف ضر ولا لجلب نفع، ولا يتخذ من دونه أولياء يجعلون وسطاء عنده، بل يكون كل ما يتعلق بالدين والعبادة – واعظمها وأهم اركانها الدعاء – خالصا له وحده لا تتوجه فيه النفس الى غيره ولا يسأل الانسان سواه ولا يستعان فيما وراء الاسباب العامة بين البشر بمن عداه (اياك نعبد واياك نستعين) هذا هو أهم مايقال في

اخلاص الدين لله . قال تعالى في أول سورة الزمر (فاعبدالله مخلصاً له الدين ، ألا لله الدين الخالص ، والذين اتخذوا من دونه أولياء مانعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ، ان الله يحكم بينهم فيا هم فيه يختلفون . ان الله لايهدي من هو كاذب كفار) فالمنافقون في الدرك الاسفل من الهاوية الا من استثني

﴿ فأولئك مع المؤمنين ﴾ أي فأولئك التائبون ، الذين هم لتلك الاعمال عاملون ، يكونون مع المؤمنين لانهم منهم ، يؤمنون ايمانهم ويعملون عملهم ، ثم يجزون جزاءهم وهو ماعظم الله تعالى شأنه بقوله ﴿ وسوف يؤتي الله المؤمنين اجرا عظيما ﴾ أي سوف يعطيهم في الآخرة أجرا لايعرف أحد كنهه ، (فلا تعلم نفس ماأخفي لهم من قرة اعين جزاء بما كانوا يعملون)

﴿ مايفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم ؟ ﴾ استفهام إنكاري يبين الله لنا به انه سبحانه لا يعذب أحدا من عباده تشفيا منه ولا انتقاما بالمعنى الذي يفهمه الناس من الانتقام بحسب استعمالهم اياه فيا بينهم ، وانما ذلك كفرهم بنعم الله عليهم بالحواس والعقل والوجدان والجوارح باستعمالها في غير ما خلقت لأجله من الاهتداء بها الى تكميل نفوسهم بالعلوم والفضائل والاعمال النافعة ـ وكفرهم بالله تعالى باتخاذ شركاء له (وان سماهم بعضهم وسطاء وشفعاء) فبكفرهم بالله تعالى و بنعمه عليهم في الآفاق وفي انفسهم تفسد فطرتهم ، وتتدنس ارواحهم ، فتهبط بهم في دركات الهاوية ويكونون هم الجانين على انفسهم . ولو شكروا وآمنوا فطهرت ارواحهم من دنس الشرك والوثنية ، وظهرت آثار عقولهم وسائر قواهم بالاعمال الصالحة المصلحة لمعاشهم ومعادهم ، لعرجت بهم تلك الارواح القدسية الى المقام الكريم ، والرضوان الكبير في دار النعيم ، وقدم الشكر هنا على الايمان لان معرفة النعم والشكر عليها طريق الى معرفة المنعم والايمان به

﴿ وكان الله شاكرا عليما ﴾ يثيب المؤمنين الشاكرين الصالحين المصلحين على حسب علمه بحالهم لا انه يعذبهم بل يعطيهم اكثر مايستحقون على شكرهم وايمانهم ، قال عز وجل (واذ تأذن ربكم لئن شكرتم لازيدنكم ولئن كفرتم

ن عذابي لشديد) سمى ثباتهم على الشكر شكرا وهم انما يحسنون بشكره الى أنفسهم وهو غني عنهم وعن شكرهم وايمانهم ، ولكن قضت حكمته ومضت سنته بأن يكون للايمان الصحيح والأعمال الصالحة أثر صالح في النفس يترتب عليه جزاء الحسن والعكس بالعكس . فنسأله تعالى ان يجعلنا من المؤمنين الشاكرين ، وان يشكر لنا ذلك في الدارين ، والحمد لله رب العالمين

تم الجزء الخامس من التفسير وقد نشر في المجلد الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر من المنار وقد فاتنا الوقوف على تصحيح ما نشر بالمجلد الخامس عشر منه حيث كنا أثناء ذلك في السفر وفي هذه الاثناء انتهت دروس الاستاذ الامام عليه الرحمة والرضوان وسنسير في تتمة التفسير ان شاء الله على الطريقة التي أخذناها عنه ونهتدي بهديه وبالله التوفيق

بشائر عيسى ومحمد (*)

﴿ في العهدين العتيق والجديد ﴾

٦

﴿ استدراك على الفصل الاول ﴾

• وهي نبوة دانيال المذكورة في صدر هذه الرسالة •

جاء في دائرة المعارف الانكليزية مجلد ١٣ ص ٤٢٧ و ٤٢٨ في حرب الرومان مع اليهود ما محصله (أن اليهود عصوا الرومان وخرجوا عليهم فأرسل الامبراطور (نيرون) أحسن قواده (فسباسيان) وهو أبو (طيطس) لمقاتلتهم وإخضاعهم . فبدأ (فسباسيان) الحرب معهم في (الجليل) في ربيع سنة ٦٧ ميلادية . وفي سنة ٧٠ حوصرت أورشليم تحت قيادة (طيطس) ودارت رحى الحرب فيها إلى أن تم

(*) تابع ما نشر في الجزء الثامن ص ٥٨٦ بقلم الدكتور محمد توفيق صدقي

تخريبها واحراق هيكلها في شهر أوغسطس من هذه السنة . ولكن لم تخضع جميع اليهود تماما وبقيت عصيانهم ومقاومتهم للرومان الا في سنة ٧٣ ميلادية) اه باختصار ومن ذلك يتبين أن الحرب الحقيقية ابتدأت وانتهت في ظرف سبع سنين وبطلت الذبيحة والتقدمة في وسطها (أي في وسط هذا الاسبوع من السنين)

وفي هذه المدة كان كثير من كبراء اليهود وعظمائهم يخالفون باقي قومهم في هذه الحرب فمالوا الى جانب الرومان وخرجوا اليهم وأظهروا لهم الطاعة والبقاء على موالاتهم وعهدهم فأمنوهم ولم يصيبوهم بأذى مدة هذه الحرب حتى انتهت وهم مسالمون معاونون للرومان والرومان مسالمون لهم . ومن هؤلاء (يوسيفوس) المؤرخ اليهودي الشهير فقد كان مع (طيطس) ونصح قومه كثيرا بالخضوع والطاعة . فهذا هو المراد بقول دانيال فيما سبق ٩ : ٢٧ (ويثبت (أي جيش الرومان كما يفهم من السياق) عهدا مع كثيرين (وهم كبراؤهم الذين فروا منهم) في أسبوع واحد وفي وسط الاسبوع (أي سنة ٧٠) يبطل الذبيحة والتقدمة) باحراق الهيكل وتدميره وتخريبه

وقوله ٩ : ٢٦ (يقطع المسيح وليس له) وجدنا أن الترجمة الصحيحة لاصله العبري (ينقطع المسيح ولا يكون له شيء) أو (لا يبقى له أحد) ومثل ذلك ترجم في بعض التراجم الانكليزية والامريكانية وهو عين ماقلناه سابقا من أن معناه ينتهي ملكهم وينقطع مسيحهم بمدمحيا ولا يبقى له شيء من القوة والملك والسلطة أو النسل والخلافة بل ينمحي محوا تاما وتزول دولتهم وقد كان ذلك فلم يعد ملكهم القديم وزال ماعاد لهم من مجد منذ ذلك الحين

وعليه فهذه النبوة لاعلاقة لها مطلقا بمسألة الصلب المزعوم حتى لو حملت على المسيح عيسى كما لايخفى على المتأمل

ومما يؤيد عقيدة المسلمين في المسيح وعدم صلبه وعدم ألوهيته من كتب اليهود والنصارى ماجاء في الاصحاح ٤٩ من كتاب أشعياء وهو باعترافهم نبوة عن المسيح قال ٢ (. . . . . . . في ظل يده خبأني وجعلني سهما مبريا . في كنانته أخفاني ٣ وقال لي أنت عبدي اسرائيل الذي به أتمجد ٤ ...... لكن حقي

عند الرب وعملي عند إلهي ٥ والآن قال الرب جابلي من البطن عبدا له ....
وإلهي يصير قوتي ٧ هكذا قال الرب فادي اسرائيل قدوسه للمهان النفس لمكروه الامة لعبد المتسلطين ينظر ملوك فيقومون . رؤساء فيسجدون - الى قوله - ٨ في وقت القبول استجبتك وفي يوم الخلاص أعنتك فأحفظك وأجعلك عهدا للشعب) وهو صريح في أن المسيح عبدالله وأنه سيجيبه ويجيب دعاءه وينجيه ويحفظه وقوله (رؤساء فيسجدون) المراد به سجود الاكرام والتعظيم والخضوع كما قال في حق سليمان مز ٧٢ : ١١ (و يسجد له كل الملوك) وقد سجد مثل هذا السجود موسى عليه السلام لحميه يثرون (خر ١٨ : ٧) وبنو الانبياء لاليشع (٢ مل ٢ : ١٥)

وقال في مزمور ٩١ : ٩ (لانك قلت أنت يارب ملجأي جعلت العلي مسكنك ١٠ لا يلاقيك شر . ولا تدنو ضربة من خيمتك ١١ لانه يوصي ملائكته بك لكي يحفظوك في كل طرقك ١٢ على الايدي يحملونك لئلا تصدم بحجر رجلك ١٣ على الاسد والصل تطأ . الشبل والثعبان تدوس ١٤ لانه تعلق بي أنجيه . أرفعه لانه عرف اسمي ١٥ يدعوني فأستجيب له . معه أنا في الضيق . أنقذه وأمجده ١٦ من طول الايام أشبعه وأريه خلاصي) وكون هذا المزمور في حق المسيح يفهم من انجيل متى (٤ : ٦ - ٨) واذا كان المراد بالرفع هنا الرفع الجسداني كما يؤيده قوله (من طول الايام أشبعه) فله مثيل عندهم في غير المسيح فقد رفع أخنوخ (تك ٥ : ٢٤ وعب ١١ : ٥) وكذلك إيليا (٢ مل ٢ : ١١)

وجاء في المزمور ١٠٩ (وأوله في حق يهوذا الاسخريوطي كما قيل في سفر الاعمال ١ : ٢٠) قوله عن لسان المسيح بعد أن تكلم على يهوذا وغيره من أعدائه ٢١ (أما أنت يارب السيد فاصنع معي من أجل اسمك . لان رحمتك طيبة نجني ٢٢ فاني فقير ومسكين أنا وقلبي مجروح في داخلي ٢٥ وأنا صرت عارا عندهم . ينظرون الي وينغضون رؤوسهم (أنظر أيضا متى ٢٧ : ٣٩) ٢٦ أعني يارب إلهي . خلصني حسب رحمتك ٢٧ وليعلموا ان هذه هي يدك . أنت يارب فعلت هذا ٢٨ أما هم فيلعنون . وأما أنت فتبارك . قاموا وخزوا . أما عبدك فيفرح ٢٩ ليلبس خصمائي خجلا وليتعطفوا بخزيهم كالرداء ٣٠ احمد الرب جدا بفمي وفي وسط كثيرين

أسبحه ٣١ لأنه يقوم عن يمين المسكين ليخلصه من القاضين على نفسه) وهو صريح في أن الله نجى المسيح عليه السلام من القاضين عليه وأن يهوذا وقع فيما دبره لسيده كما أشار داود إلى ذلك في هذا المزمور بقوله ١٠٩ : ٧ (إذا حوكم فليخرج مذنبا وصلاته فلتكن خطيئة) إلخ إلخ

وقال في مزمور ٣٤ : ١٧ (أولئك صرخوا والرب سمع ومن كل شدائدهم أنقذهم ١٨ قريب هو الرب من المنكسري القلوب ويخلص المنسحقي الروح ١٩ كثيرة هي بلايا الصديق ومن جميعها ينجيه الرب ٢٠ يحفظ جميع عظامه واحد منها لا ينكسر ٢١ الشر يميت الشرير ومبغضو الصديق يعاقبون) فهذه العبارات هي باعترافهم في حق المسيح كما في يو ١٩ : ٣٦ وهي صريحة في نجاة المسيح وخلاصه من كل البلايا والمصائب وفي عقاب اعدائه ومبغضيه وقوله فيها (يحفظ جميع عظامه واحد منها لا ينكسر) أدل على قولنا بعدم الصلب منه على قولهم بالصلب لأن الصلب عادة يستلزم تفتيت عظام اليدين والقدمين وهو شيء لا يمكن توقيه في الصلب ولا بالتعمد والحذر الشديد فكيف اذا لم ينكسر واحد من عظامه ؟ فالحق أن المراد من هذه العبارة أن الله يحفظ جسمه كله ويصونه من كل اذى بليغ فهو من باب اطلاق الجزء وارادة الكل أما إذا صح أنه صلب فأي أذى أعظم من ذلك ؟ وما معنى قوله إنه ينقذه وينجيه ويخلصه من كل البلايا فأي بلية أعظم من الصلب والقتل ؟ وإذا كان المراد انه يصلب حتى يموت ولكن لا ينكسر عظم من عظامه فما فائدة ذلك وما وجه البشارة به ؟ وهل يتفق هذا مع قوله ينقذه ويخلصه وينجيه ؟ فمن أي شيء نجاه إذاً ؟

وقال المسيح عليه السلام لما أرسل الفريسيون ورؤساء الكهنة خداما ليمسكوه (يو ٧ : ٣٣) « أنا معكم زمانا يسيرا بعد ثم أمضي إلى الذي أرسلني ٣٤ ستطلبونني ولا تجدونني وحيث أكون أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا » وهو صريح في أنهم لن يجدوه ولن يقبضوا عليه

ومما يدلك على قدرته عليه السلام على التشكل بأشكال مختلفة والاختفاء عن عين الناس قول مرقس ١٦ : ١٢ (وبعد ذلك ظهر بهيئة أخرى) وقول لوقا ٢٤ : ١٥

(تقترب إليهما يسوع نفسه وكان يمشي معهما ١٦ ولكن أمسكت أعينهما عن معرفته) وجاء في لوقا ٢٤ : ٤٢ و ٤٣ قوله بعد قيامة المسيح المزعومة (فناولوه جزءاً من سمك مشوي وشيئاً من شهد عسل فأخذ وأكل قدامهم) وهو يدل على أنه قام بعين جسده المادي الذي كان به قبل الصلب وإذا كان يقدر أن يختفي به بعد قيامته كما قال لوقا (٢٤ : ٣١) فاي مانع يمنع من اختفائه به قبل الصلب وهو هو ؟ على أنه كان يختفي فعلا قبل الصلب كما قال يوحنا وكان يمشي في وسط اليهود بدون أن يروه (يو ٨ : ٥٩) راجع أيضاً (يو ١٠ : ٣٩) ومثله ورد في لوقا (٤ : ٣٠)

وقال عليه السلام ايضا يو ١٦ : ٣٢ (هوذا تأتي ساعة وقد أتت الآن تتفرقون فيها كل واحد إلى خاصته وتتركونني وحدي . وأنا لست وحدي لأن الآب معي ٣٣ قد كلمتكم بهذا ليكون لكم فيّ سلام في العالم سيكون لكم ضيق . ولكن ثقوا أنا قد غلبت العالم) وهو بشارة من المسيح لتلاميذه بأن الله ينجيه ويبقده وإلا فهل يصح أن من كان الله معه ومن غلب العالم يغلبه اليهود ويصلبونه رغماعن إرادته كما بيناه في صفحة ٨٠ ؟ وكيف يتفق هذا القول مع قول المصلوب كما في متى ٢٧ : ٤٦ (إلهي إلهي لماذا تركتني) مع أن الاول صريح في أن الله لم يتركه ؟

هذا وقد أنكر الصلب كثير من فرقهم في مبدأ النصرانية أي قبل الاسلام بسنين عديدة منهم السيرنثيين (Cerinthians) والباسيليديين (Basilidians) والكربوكراتيين (Carpocratians) والتاتيانوسيين أتباع تاتيانوس تلميذ وستينوس الشهيد الشهير وغيرهم كثيرون. وكثير من فرقهم القديمة ايضاً كانوا موحدين منكرين لألوهية المسيح وأشهرهم (الأريوسيون) (Arians) ومنهم كان الامبراطور (قسطنطين) أول قياصرة الرومان المسيحيين (وكذلك أم الطيطوس) أي (الجرمانيين) ولا تزال منهم طائفة كبيرة في أوربا يسمون الموحدين (Unitarians) إلى اليوم . وقال فوتيوس (Photius) إنه قرأ كتابا يسمى (رحلة الرسل) فيه أخبار بطرس ويوحنا واندراوس وتوما وبولس

ومما وجده فيه هذه العبارة (إن المسيح لم يصلب ولكن صلب غيره وقد ضحك بذلك من صالبيه) أي الذين ظنوا أنهم صلبوه

وقد ذكرنا أكثر هذه الفرق المنكرة للصلب في كتابنا (الخلاصة البرهانية على صحة الديانة الاسلامية) وفي كتاب (الدين في نظر العقل الصحيح)

واعلم أن الذين قبضوا على المسيح ما كانوا يعرفونه ولذلك أخذوا معهم يهوذا ليدلهم عليه وأعطاهم علامة (متى ٢٦ : ٤٧ – ٥٠ ومرقس ١٤ : ٤٣ – ٤٦ أنظر أيضا أع ١ : ١٦) فكان دليلهم الوحيد هو يهوذا كما يفهم من جميع نصوص العهد الجديد وخصوصا التي أشرنا إليها وقد كان القبض عليه ليلا كما يفهم من سياق القصة في جميع الأناجيل (انظر متى ٢٦ : ٣١ و٣٤ و٥٥ و٢٧ : ١ ومر ١٤ : ٢٧ و ٣٨ – ٤٢ ولو ٢٢ : ٥٣ و٦٦ ويو ١٨ : ٣ و٢٧ و٢٨)

ويظهر من انجيل يوحنا أنه حصل لهم حينما أرادوا القبض عليه هيبة منه حتى أغمي عليهم وسقطوا على الأرض (يو ١٨ : ٦) وما كان هيرودس يعرفه ، ولم يجب المقبوض عليه هيرودس شيء (لو ٢٣ : ٨ و ٩) فهنا أيضا موضع آخر للشك

وكان بيلاطس هو وامرأته يريد إنقاذ المسيح (متى ٢٧ : ١٥ – ٢٥ ولوقا ٢٣ : ١٣ – ٢٥) فيجوز أنه غشهم وأطلق لهم غيره وخصوصا لأن رؤساءهم وكذا القابضين عليه ما كانوا يعرفونه كما سبق وكان بيلاطس يعتقد أنه بريء من كل ما نسب إليه (متى ٢٧ : ٢٤)

وإذا كان من معجزات بطرس تلميذ المسيح النجاة من السجن (أع ١٢ : ٦ – ١٠) وكذلك بولس وسيلا (أع ١٦ : ٢٥ و ٢٦) فهل من البعيد أن يكون المسيح عليه السلام أنقذ من السجن كما أنقذت اتباعه أو أنه هرب منه أو أن بيلاطس أبدله بغيره فظنوه هو وهو ليس المسيح فذهب إلى موضع آخر كما ذهب بطرس بعد السجن (أع ١٢ : ١٧) وهناك توفاه الله أو رفعه إليه فلم يجدوه كما قال عليه السلام (يو ٧ : ٣٤) وكما لم يجد الحسون

الرجل إيليا بعد رفعه (٢ مل ٢ : ١٧) وكما لم يعرف أحد مكان موسى بعد موته (تث ٣٤ : ٦)

فانظر هداك الله إلى هـذه النصوص وتدبرها بعين البصيرة تجد أنها كلها تؤيد عقيدة المسلمين في المسيح عليه السلام وتنقض عقيدة النصارى فيه ولكنهم يتعسفون في تأويلها ويتكلفون كما هي عادتهم

ومن العجيب أنهم يتركون مثل هذه النصوص والنبوات السابقة الفصيحة الصريحة ويتمسكون بعبارات من نبوات غيرها مبهمة وقابلة لكل تأويل وهي ليست نصا في عقائدهم ولا تنهض لهم بها حجة كما أريناك في هذا الكتاب هداهم الله إلى الحق والصواب

***

﴿ الفصل الرابع ﴾

« في بشائر محمد صلى الله عليه وسلم ونبوته »

تمهيد :

اعلم ان تغيير حال أمة كالأمة العربية واحياءها واحياء أمم الأرض بها وقلب مقوماتها وصبغاتها وإصلاح جميع أحوالها وأمورها وإخراجها من الفساد والاختلال والفوضى برجل كمحمد (ص) في حاله ونشأته وفقره ويتمه وأميته وبتلك السرعة العجيبة في مدة الزمن القصير أمر لم يعهد له مثيل في تاريخ البشر . وليس له نظير فهو من أعجب العجائب وأغرب الخوارق

رجل فقير يتيم أمي بعيد عن العلم والعلماء في ناحية من الارض بعيدة عن كل نظام ومدنية ناشئ في الهمجية وبين أهل له وأقارب عريقين في الجهل والكفر والوثنية فأوجد وحده من الجهل علما ومن الفساد نظاما ومن الكفر إيمانا ومن الشرك توحيدا ومن التشبيه تنزيها ومن التفرق اتحادا ومن التخاذل ائتلافا ومن

الضعف قوة ومن الهمجية مدنية وهو في كل ذلك الليث الغضنفر والقائد المحنك والخطيب المصقع والبليغ المعجز والسياسي الحاذق والمتنبئ الصادق والشارع الحكيم والمعلم الماهر الخبير لقومه بما لم يعلموه وما لم يلتفتوا اليه والتقي الورع والزاهد الناسك العابد والمتمتع بالحلال والمتلذذ بالطيبات والرؤوف الرحيم والقاسي على المعتدين ومثال الأدب والتهذيب والرقة والكمال والجمال والنظافة والاعمال الصالحة والايمان الصادق الصحيح والمصلح الاكبر لامته ولسائر العالم إني والله لا أدري ماذا أقول وكيف أصفه وبماذا أعبر عنه بما يخالج قلبي فيه فهو الانسان الكامل الجامع للاضداد والمتناقضات والذي يجد فيه كل طالب ما يشتهيه والقدوة الحسنة في كل شيء والمثال الصالح الوحيد في كل صفة أو خلق أو عمل (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة)

ألا ترى أنه أوجد من العدم أمة حملت لواء العلم والعز والمجد والمدنية الصحيحة والحرية والاخاء والمساواة إلى أمم الأرض قاطبة مع شدة الحاجة إلى ذلك في ذلك الزمن الذي ساد فيه الاختلال والفساد والتكبر والظلم والاستبداد وسوء الحال والجهل فغيرت وجه الارض وقلبت نظامات الامم وصبغتها بصبغتها في اللغة والدين والاخلاق في سنين قليلة وبسرعة خارقة للعادة

انظر الى دول هذا العصر مع عظمتها وقوتها وعلمها وأموالها واقتدارها كيف عجزت عن صبغ محكوميها بصبغتها في الدين واللغة والجنس والاخلاق مع صرف كل مجهوداتها ومعلوماتها وأموالها واقتدارها في ذلك فلم تزدد الناس منها إلا نفورا وسخطا وبغضا مع مضي المدد الطويلة عليها وتسلطها على جميع مصادر حياة تلك الامم فلم تنل منها مع قوتها في السنين العديدة ما ناله العرب مع ضعفهم في السنين القليلة

فمحمد(ص) الذي أوجد تلك الامة وذلك الدين وتلك الدول الآخذة بتعاليمه المتأثرة بأقواله وأفعاله إلى اليوم والذي له أكبر سلطان على نفوس الملايين من البشر ءأيكون له كل هذا الاقتدار وذلك السلطان مع مرور الاعوام والدهور وديه لا يزداد إلا انتشارا ـ أيكون كل ذلك بدون عون إلهي ومدد رباني ؟

نبؤوني بعلم إن كنتم صادقين . أي نظير له بين البشر ؟ أي مثال له بين الناس ؟ ولماذا كان متفردا وخارقا للعادة في كل شيء ؟ أي مصلح قام بين البشر وكان مثله في حاله ونشأته وكانت أمته كأمته العربية البدوية الامية وكان منه ما كان من محمد صلى الله عليه وسلم في العالم و بسرعة عجيبة كهذه أو دام عمله في الارض الى اليوم ؟ ولماذا خاب كل مدع للنبوة من بعده وفشل - تصديقا لقوله عن نفسه انه خاتم النبيين - ؟ فيا أيها المؤرخون المفكرون والباحثون المتدبرون في أحوال الاجتماع وطبائع البشر ! لماذا كان محمد شاذاً فذاً في جميع أعماله دون سائر البشر ؟ ولماذا كانت له تلك القدرة العجيبة والسلطان السريع والتأثير المدهش في أمم الارض قاطبة من قبل ومن بعد إلى قيام الساعة ؟ وكيف نعلل ذلك تعليلا معقولا صحيحا بغير الاعتقاد بصدقه ؟

أليس عمله في قلب الامة العربية و بعثها من الموت إلى الحياة بسرعة من يقول للشيء : كن فيكون أبلغ من قلب موسى العصا حية ومن إحياء عيسى ثلاثة أموات ؟ وأيهما أدل وأليق بالنبوة ؟ انظر إلى رجلين ادعيا علم الطب فأثبت أولهما علمه به تآليفه فيه وبحسن علاجه ونجاحه وشفائه للمرضى في أقرب وقت وأثبت الثاني دعواه علم الطب بالالعوبة كالألاعيب المشعوذين بأن رمى بحبل إلى السماء ثم تعلق به وصعد عليه فأيهما أتى بما يناسب دعواه وما العلاقة بين الطب و بين تلك الألاعيب ؟ نعم قد يندهش البسطاء و يصدقون الثاني الذي أدهشهم وحيرهم بألاعيبه وعجائبه ولكن لا يكون تصديقهم هذا مبنيا على برهان عقلي منطقي صحيح

كذلك الفرق بين محمد والانبياء قبله فمحمد أثبت دعواه بما يناسب مدعاه والانبياء الآخرون أتوا بما لا علاقة له بمدعاهم ولكنه يدهش الناس ويحيرهم حتى يذعنوا له ويهابوهم فيخضعوا (وما نرسل بالآيات إلا تخويفا)

هذا ولما كانت الأمم القديمة كالأطفال جاءهم الانبياء بما يناسب عقولهم ودرجة مداركهم ، ولكن كان الجنس البشري قد بلغ رشده في عصر النبوة المحمدية ثم ارتقى بعده واستوى فاذا جاءه بما يليق بعقول راقية وينطبق على البرهان المنطقي الصحيح ولذلك تجد الناس الآن ينفرون من ذكر المعجزات الغابرة وقل

في علمائهم من يود سماع أقاصيصها . ولا ينكر الترقي التدريجي للبشر الا المكابر المعاند وبغنينا عن اثبات ذلك أنه صار الآن عقيدة من عقائد جميع العلوم الحديثة نعم كان لتلك الأمم درجات من المدنية ولكنها دون مدنية العرب ومدنية الافرنج بمراحل

خذ مقياسا لعقول أمة موسى كيف كانوا بين حين وآخر يرتدون ويعبدون الأصنام ولعقول أمة عيسى كيف حولوا دينه الصحيح دين ـ التوحيد والتنزيه ـ من قديم الزمان إلى وثنية لا تختلف عن وثنيات الأمم المجاورة لهم في شيء ـ تلك الوثنية المشاهدة الآن في جميع عقائد النصرانية وعباداتها وتعاليمها وعبارات كتبها حتى نفرت أهل العلم من الدين كله في أوربة لجهلهم بالاسلام فظنوا أن جميع الأديان كالنصرانية فخرجوا منها إلى ما يسميه القسيسون بالالحاد وما هو إلا ميل الفطرة البشرية السليمة إلى الدين الحق دين التوحيد والتنزيه والعقل وحب الخير وبغض الشر فظنهم الناس كافرين وما هم في الحقيقة إلا مؤمنون ولكن بعقائد غير عقائدهم تنطبق على العلم والعقل الصحيح

ارجع بنا إلى القرون المسيحية الاولى تر الناس نضاربت عقائدهم وأفكارهم في كافة أصول الدين الأساسية وكثرت مذاهبهم فيها وتعددت ومزجت النصرانية بالفلسفات القديمة مزجا أضاع حقيقتها حتى ذابت فيها ولم يرق للناس في تلك الأزمان ـ لقصر عقولهم ـ إلا الشرك والتجسيم وعبادة الصور والصلبان والتماثيل

وكلما قام فيهم موحد أو مصلح حكموا بكفره ومروقه حتى أريقت دماء العالمين بسبب ذلك ظلما وعدوانا وتبدل دين المحبة والوفاق الى بغض وشقاق وانصدع بنيان الكنيسة المسيحية من قديم الازمان

قام أريوس بالتوحيد ووافقه على ذلك بعض الاساقفة والامبراطور قسطنطين نفسه ـ كما قلنا ـ ثم وجد له من أمم الجرمانيين أتباع عديدون ولكن ميل جمهور الناس في ذلك الزمن إلى الشرك والوثنية حمل أكثر أعضاء مجمع (نيقية) سنة ٣٢٥ م على الحكم عليه بالزندقة والمروق وتأصلت العداوة بين أتباعه وبين سائر المسيحيين منذ ذلك الحين

ولما فشت في الناس عبادة الصور والتماثيل واشتدت حتى صارت جزءاً من الدين قام بعض الناس ومنهم القياصرة كليون الثالث لمحقها وسموا إذ ذاك «كاسري التماثيل» (Iconoclasts) وكان ذلك في القرن الثامن والتاسع فحكم البابا جريجوري الثاني والثالث بحرمانهم ومروقهم ولما اجتمع مجمع القسطنطينية سنة ٨٤٢ كان أيضاً مضاداً لهم وفاز فيه العابدون لها مع نهي كتبهم عن عمل الصور والتماثيل وعبادتها والاشراك بالله تعالى نهياً صريحاً لا يقبل التأويل (أنظر تث ٤ : ١٥ - ١٩ و ٦ : ٤ و ١٣ : ١ - ٥) فكان ذلك سبباً آخر من أسباب الشقاق بين المسيحيين

ولما قام لوثر بالاصلاح البروتستنتي في القرن السادس عشر اشتعلت نار الحروب بين المسيحيين وخضبت الارض بدماء الالوف من الابرياء المصلحين في مثل مذبحة الهيود غينوز (Huguenots) بفرنسة سنة ١٥٧٢ ميلادية ومع رقي البشر الآن ووجودهم في عصر النور والعلم ترى التثليث منتشراً بين جميع فرق المسيحيين الا قليلا من الموحدين (Unitarians) وكذلك عبادة الصور والصلبان في الكنيسة الارثوذكسية والكاثوليكية كما أورثها مجامعهم القديمة التي عليها يعولون في كل مسائل دينهم والحكم على كتبهم. ومن فرقهم القديمة من عبد مريم العذراء وكانوا يدعون بالمريميين ومنهم بعض أساقفة مجمع نيقية وكان الثالوث عندهم مركباً من الاب والمسيح ومريم على أنهم ثلاثة آلهة ولا تزل صورة مريم للآن في الكنائس الرومانية والشرقية يسجد لها ويتقرب ويصلى لها ويطلب منها النصارى ما يشتهون وهذا سبب نهي القرآن الشريف عن إتخاذها إلهة مع الله تعالى عما يشركون (انظر سورة المائدة ٥ : ٧٣ - ٧٥ و ١١٦) لان نصارى العرب كانت تعبدها من دون الله

من ذلك تعلم حكمة تشديد الشريعة الاسلامية في النهي عن التصوير واتخاذ التماثيل وتعظيم القبور . وتعلم حاجة العالم في ذلك الوقت إلى الاصلاح العظيم الذي جاء به الاسلام . راجع كتاب التوسل والوسيلة لابن تيمية يتضح لك منه ان الاسلام سابق لكل إصلاح علي ناجح فأنى لمحمد ذلك لولا وحي الله ؟ ولماذا

شذ عن العالم كله في ذلك الوقت الذي كانت فيه الامم غارقة في عبادة الصور والتماثيل ؟ ولماذا لم يتأثر عقله بما يراه عند قومه وأهله وأهل الكتاب خصوصا الذين يزعم المبشرون أنهم معلموه مع أنه هو الذي جاءهم بالاصلاح قبل أن يعرفوه ونهاهم عن عبادة المسيح ومريم والصور والصلبان . فكيف اقتنع بصحة عقيدته في التوحيد والتنزيه وهي مخالفة لما كان عليه جماهير الناس في العالم كله إلا أفرادا قليلين ؟ وكيف عرف أن الحق مع هؤلاء دون أهله والاكثرين من قومه ؟ وذلك منذ طفوليته قبل أن يكون للعقل مجال في البحث والتفكير ، ولماذا كان محمد هو السابق للعالم في اصلاح كل فساد في أمور الناس الاجتماعية دينية كانت أو دنيوية اصلاحا عمليا وناجحا ؟ فمن علم هذه الطرق العملية الناجحة في سياسة الناس والتأثير فيهم والوصول إلى قلوبهم وعقولهم حتى صاروا طوع إشارته في كل شيء فملك نواصي العالمين وفاز في ذلك فوزا مبينا لم يسبقه فيه أحد من المصلحين والنبيين ؟

فاذا كان لوثر وغيره يعد الآن من كبار المصلحين ألا يعد محمد الذي ظهر قبله في وسط الوثنية المحضة محاطا بها من جميع الجهات وأصلح كافة أمور الناس وأحوالهم وأتى بالدين الحق والتوحيد الخالص - ألا يعد هذا أكبر مصلح ظهر على الارض ؟

لذلك قال تعالى ٦٢ : ٢ « هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين ٣ وآخرين منهم لما يلحقوا بهم (١) وهو العزيز الحكيم » وقال ٢١ : ١٠٧ « وما أرسلناك الا رحمة للعالمين »

لله الحمد !! قد ظهر في الافرنج الآن كثيرون ممن اهتدى إلى صواب جميع ما أتى به

(١) حاشية : قوله (وآخرين منهم لما يلحقوا بهم) معناه يعلم آخرين غير العرب من جميع الامم الاخرى فانهم صاروا من العرب لان بلادهم صارت بلاد العرب ولغتهم لغة العرب وكذلك دينهم وعاداتهم وقد اختلطوا بالعرب بالزواج وغيره حتى صاروا منهم في كل شيء ولذلك قال (وآخرين منهم لما يلحقوا بهم) أي لم يتجنسوا بالجنسية العربية الآن ولم يلحقوا بهم بعد ولكنهم سيلحقون بهم فيما بعد في كل شيء . فهي بشارة بدخول الامم الاخرى في الاسلام وامتلاك العرب بلادهم وصيرورتهم من العرب جنسا ودينا ولغة وعادة الخ الخ حتى صار لفظ العرب يطلق على كل المسلمين من جميع الاجناس لانهم أمة واحدة (وأن هذه أمتكم أمة واحدة) صدق الله العظيم

عليه السلام ومنهم من أسلم ظاهرا و باطنا بعد أن كانوا يعدونه من أ كبر الكذابين والدجالين لكثرة ما افتراه عليه قسيسوهم في تلك العصور المظلمة حتى أنهم ادعوا أن لمحمد صنما من ذهب يعبده المسلمون وهم الذين لا يعبدون الا الله وحده و يصلون له خمس مرات في كل يوم و يصيحون باسمه تعالى في كل واد وفي كل مرتفع و يصومون له شهر رمضان في كل سنة

الانبياء الكذبة يعرفون من ثمرة عملهم كما قال المسيح عليه السلام (متى ٧: ١٦-٢٠) ولا يأتي الشرير بالخير والاصلاح للناس كافة والله تعالى لا يؤيد الكذابين الدجالين المضلين للناس (راجع مزمور ٦:١ و٥ : ٦ و ٣٤ :١٦ و ٣٧) فكيف إذاً أيد محمدا صلى الله عليه وسلم حتى نجح في عمله هذا النجاح الباهر العجيب السريع الذي لم يعهد له مثيل في التاريخ ؟

رجل قام باسم الله ودعا الناس باسمه وقال وعمل كل شيء باسمه ونسب اليه تعالى كل عمل من أعماله ولم يكذبه الله تعالى ولم يخذله أو يقتله كما فعل بالكذابين بل ثبته وأيده وقواه ونصره ونجحه في جميع مساعيه ومقاصده وصدقه في كل ما أخبر به عنه ورفع ذكره وأعلى شأنه حتى صار اسمه يذكر بجانب اسم الله على ألسنة الملايين من البشر في كل بقعة من الارض فهل يكون هذا من الكذابين ؟

ولماذا لم يقم الله تعالى واحدا آخر غيره عمل مثل ما عمل ونجح مثل نجاحه

أحصوا الملوك العظماء والساسة الماهرين والقواد المحنكين والخطباء البلغاء والمنشئين المجيدين والكتاب المتفننين والشارعين الحكماء والوعاظ المؤثرين والانبياء والمصلحين ومؤسسي الممالك والدول العظام وأروني من منهم جمع كل هذه الصفات وغيرها مما أعجز عن التعبير عنه وعن حصره هنا

من منهم كان بعيدا عن العلم والعلماء والكتابة والقراءة ناشئا بين الواهمين والجهلة الخرفين والمشركين والوثنيين ؟ من منهم كان فقيرا يتيما أميا إذا أراد أن يتعلم شيئا لا يمكنه إلا إذا اختطفه من أفواه بعض الجهلة الغافلين واختلسه اختلاسا دون أن يشعر به أحد وإذا أراد أن يطلع على كتاب لما تيسر له ولما عرف فيه شيئا ولما وجده بين أمة أمية لا كتب لها ولا مكاتب ولا مدارس ؟ - من منهم كان في

هذه الظروف كلها وهذه البيئة وهذا الوسط ثم أصلح أمة كالامة العربية وأوجد أمة كالامة الاسلامية وأسس دولا كدولها وأوجد كتابا كالقرآن وشرعا ودينا كالاسلام وأعجز الناس جميعا عن القيام بعمل واحد كأعماله ،والاتيان بسورة كسور قرآنه ، وجمع كل هذه الصفات وبلغ فيها شأوا لايصل اليه أحد فكان أكبر ملك وأعقل سياسي وأبلغ منشئ وواعظ وأحكم شارع وأشجع قائد وأعظم غاز وفاتح وأورع متدين وأفصح ناصح وأكبر مرشد للناس في كافة شؤونهم الدينية والدنيوية وأعظم مصلح للافكار والاخلاق والعقائد والعبادات والمعاملات وأوسع مؤسس وأدوم منشئ للدول والممالك

وهو في كل ذلك لم يتعلم شيئا يكفي لازالة جزء من ألف مما حوله من الاوهام والخرافات والخزعبلات عنه وعن الناس ولم يتدرب أو يتدرج أو يتمرن قبل النبوة على أي عمل مما أتى به بعد نبوته بل أتى في كل ذلك دفعة واحدة حينما ظهر بالنبوة وكلما لزمه شيء من أعمالها وجد نفسه أنه أكبر نابغ فيه ؟فما هذا العلم في تلك الامية ؟ وما هذا الاصلاح ممن نشأ في الوثنية بعيدا عن كل نظام ومدنية ؟ !

كفاك بالعلم في الامي معجزة ، في الجاهلية والتأديب في اليتم

تباركت يا الله هو الاوحيك اليه وعونك وتأييدك له ولولاك يا الله ما قدر على فتح مدينة واحدة ولا تهذيب رجل واحد ! ! فانا نرى الدول الاوربية بخيلها ورجلها وعلمها وفنونها ومخترعاتها وأساطيلها ومدرعاتها وطياراتها وأموالها وزخرفها ومدارسها ومستشفياتها وجميع حيلها وخدعها و .... الخ عاجزة كل العجز عن مناوأة دينك أوصد تياره الجارف أو الحيلولة بينه وبين قلوب البشر المترامين في أحضانه من كافة الملل والنحل والاجناس في سائر بقاع الارض حتى ضج المبشرون من ذلك وفزعوا وهم مندهشون (يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا أن يتم نوره ولوكره الكافرون ، هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون)

هذا ولا يخفى أن أنبياء بني اسرائيل أخبروا عما سيحدث في العالم من الحوادث التي تهم امتهم وقلما نجد في كتبهم غير الانبياء عن مستقبلهم الى يوم القيامة فأنذروا

بحادثة بختنصر وكورش والاسكندر وخلفائه وحوادث ارض ادوم ونينوى وبابل والرومان وغير ذلك مما تراه ما لا صفحات المهد العتيق ولا يكاد يخلو منه كتاب من كتبهم وقد اخبر المسيح عليه السلام تفصيلا عن خراب أورشليم وما سيحدث لليهود فيمد كل البعد ان يخبر هؤلاء الانبياء بهذه الحوادث كلها ويتركوا أكبر حادثة حدثت في العالم ولها اكبر علاقة باليهود والنصارى وهي ظهور محمد صلى الله عليه وسلم الذي زلزل أمم الارض زلزالا وأوجد أمة ملأت العالم علما وحكمة وعدلا ودينا وعمرت أورشليم وأعادت اليها عبادة الله تعالى بدون شرك أوتشبيه وأتى بدين لايزال مالكا قلوب الملايين من بني البشر وهو الدين الوحيد الذي دهض وبناهض المسيحية في جميع البلاد الى اليوم وآوى اليهود وحماهم واكتسح الوثنية أمامه وافتتح بلاد العالم القديم وابتدأ يعمل عمله في العالم الجديد وحارب النصرانية وغلبها قرونا طويلة ونشر العلم والفلسفة بينهم وبينهم الى اصلاح دينهم بعد ان كانوا غارقين في الاوهام والخرافات اجيالا عديدة ، فهل يعقل ان يترك الانبياء هذه الحادثة ويتكلموا عن غيرها مما لايكاد يذكر بجانبها ؟

الحق نقول ان الانبياء ماتركوا ذلك بل اخبروا به اجمالا وتفصيلا ـ كما ستعلم ـ منذ الازمنة القديمة ولكن أهل الكتاب يكابرون . ومع أن كتبهم محرفة وفاسدة كما بينا لكنها لاتزال تشتمل على كثير من بشائر محمد صلى الله عليه وسلم وقد سبق أن بينا هنا أن كثيرا مما يدعونه في حق المسيح انما هو في حق محمد صلى الله عليهما وسلم وأظهرنا لك بالدلائل أن بشارة دانيال بختم الرؤيا والنبوة هي بشارة به لا بالمسيح كما يزعمون

ولذلك كان العرب ينتظرون مجيئه في ذلك الوقت لاخبار أهل الكتاب بهم بذلك واخبار زعمائهم وأساقفتهم وكهنتهم كأمية بن أبي الصلت وقس بن ساعدة وسطيح وبحيرا وورقة بن نوفل، وهذا أمر مشهور معروف في تاريخ العرب ولولا ذلك ما قال القرآن ٢ : ٨٩ (وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما

جاءهم ما عرفوا كفروا به) وإلا لكذبه الناس في هذه الآية ولقالوا له ما كان أحد ينتظر مجيئك ولا يعرفك أحد

وكيف تختم النبوة بالمسيح وهو القائل لليهود (متى ٢٣ : ٣٤) (لذلك ها انا أرسل إليكم أنبياء وحكماء وكتبة فنهم تقتلون وتصلبون ومنهم تجلدون في مجامعكم وتطردون من مدينة إلى مدينة - إلى قوله - ٣٦ الحق أقول لكم إن هذا كله يأتي على هذا الجيل) أي أمة اليهود كما يقولون هم أنفسهم في قوله (متى ٢٤ : ٢٩ - ٣٤) وللوقت بعد ضيق تلك الأيام تظلم الشمس والقمر لا يعطي ضوءه - إلى قوله - لا يمضي هذا الجيل حتى يكون هذا كله) فكيف إذاً يقولون إن الرؤيا والنبوة ختمت به وهو يقول إنها لم تختم بعد وأنه سيرسل إليهم أنبياء ؟ وكيف يدعون أن الحواريين أنبياء نزل عليهم الروح القدس وعلمهم أشياء كثيرة ومع ذلك يصرون على قولهم إن الرؤيا والنبوة ختمت به ؟ فما هذا التناقض ياقوم وأين عقولكم ؟

هذا واعلم أن البشائر المحمدية كثيرة في كتب أهل الكتاب القانونية وغير القانونية ففي إنجيل برنابا الذي لا يسلمون به ذكر النبي عليه السلام باسمه صريحاً في عدة مواضع وفي كتبنا القديمة بشائر كثيرة نقلها المسلمون سابقاً عن كتبهم القانونية التي كانت في زمنهم كما في كتاب (الجواب الصحيح) لابن تيمية الذي نقل عن أشعيا وحبقوق التصريح باسم محمد صلى الله عليه وسلم ولكنّ ذلك غير موجود الآن فيها فيحتمل أنهم محوه منها . ومن تذكر قلة النسخ في تلك الازمنة وعدم وجودها إلا عند رؤساء الدين ووقوع التحريف فيها بالفعل كما يظهر ذلك من الفصل السابق وعدم حفظ أحد لها في صدره وسهولة مسح الكتابة من تلك الرقوق التي كانوا يكتبونها فيها قبل اختراع المطابع لا يستبعد أنهم محوه من جميع نسخهم القديمة والجديدة التي كانت عندهم ولو بالتدريج وقد أخبر المسلمين بذلك بعض اليهود والنصارى الذين أسلموا قديماً وكانوا قد عثروا على هذا التحريف والتبديل كما يتضح ذلك لمن راجع كتب البشائر الاسلامية القديمة ، وعثورهم على هذا التحريف كان اتفاقاً لأنهم ما كانوا يحفظونها في صدورهم وقل منهم من توجد عنده نسخة كاملة من كتب العهدين وهذا بخلاف القرآن الشريف الذي

كان محفوظا في الصدور ونسخه كانت بأيدي العامة والخاصة لعدم وجود رآسة دينية عندنا ولانتشار العلوم والمعارف بين المسلمين في تلك الازمنة بينما كان الناس غيرهم في بحار الجهل غارقين ولذلك كان عند المسلمين علم النقد العالي (في الحديث) الذي لم يعرف بين الأوروبيين وغيرهم إلا اليوم والذي أصبحوا يفخرون به علينا ونسوا ماضيهم المظلم فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

وانا في هذا الفصل لا أريد أن استشهد بتلك البشائر التي لا يسلمون بها الآن ولا بالبشائر التي ليست صريحة بل لا أستشهد إلا بما هو واضح جلي من كتبهم الحالية :ـ

(يتلى)

الغارة على العالم الاسلامي (*)

أو

﴿ فتح العالم الاسلامي ﴾

٩

﴿ مؤتمر لكهنوء سنة ١٩١١ ﴾

وقام بعد ذلك القسيس (ك . س) المبشر في (مدراس) فتلا تقريرا عن مشايخ الطرق والدراويش في أفريقية وقدم له مقدمة تاريخية اقتبسها من المؤلفات العربية . والمعلومات التي تضمنها هذا التقرير هي ملخص كتاب ألفه هذا القسيس اسمه (الطرق الصوفية في الاسلام)

ثم قال : ان الاسلام أخذ ينتشر في الحبشة وسيصبح شمال الحبشة عما قريب بلدا اسلاميا . أما «منبسة» وشرقي أفريقية البريطانية فلا أثر فيهما للدراويش المبشرين وليس هناك نجاح للاسلام في شمال نجيريه حتى الايام الاخيرة ، وذلك لما كان يلقاه هذا الدين من مقاومة القبائل الوثنية له . الا أن الاستعمار الانكليزي قد وطد الامن العام ومهد السبيل لسياحة المسلمين . وانتشار الاسلام على يد التجار الهوسيين . وفي نجيريه

(*) تابع لما نشر في الجزء الثامن ص ٦٠٩

مسلمون تربوا تربية اسلامية وهم على مذهب مالك بن أنس وقد درسوا تفسير البيضاوي وصحيح البخاري وكتب الغزالي .

والاسلام في جنوب هذه البلاد قد انتشر انتشارا سريعا بفضل الهوسيين أيضا وقسم من هؤلاء ينتمي الى الطريقة التيجانية منذ ٨٠ سنة . وهذه الطريقة قد اتسع نطاقها حتى جهة « اليدة » ومشايخها هم الذين شدوا أزر أمير سكوتو أثناء فتنته مع الانكليز . وعلى كل فالظواهر تدل على تقدم الاسلام بانتظام في مقاطعة (سيرا ليونة) وهو ينتشر أيضا في (نياسالند) منذ ١٢ سنة بفضل عرب زنجبار . والبلاد الممتدة من بحيرة (نياسة) حتى الشاطئ الافريقي الشرقي لاتكاد تخلو بقعة فيها من مسجد أو رجل يدعو الى الاسلام وبالعكس من ذلك مقاطعة (رودزية) فان الاسلام لا يكاد يكون له فيها أثر .

وقام بعده الاستاذ (مينهف) فذكر بعض دواعي انتشار الاسلام مثل انقطاع تجارة الرقيق وانتشار الامن ونفوذ المسلمين من الوجهة الاقتصادية والتجارية ومما قاله : « ان بين الاوروبي والافريقي هوة تفرق بينهما والمسلمون قد تمكنوا من ازالة الهاوية التي كانت بينهم وبين الزنوج مما جعلوا لهم الى هؤلاء سلما . فأهالي الساحل الشرقي في أفريقية والهوسيون في السودان الغربي هم الآلة العاملة لانتشار مدنية الاسلام في أفريقية بلغة البلاد التي هي مزيج من العربية والبربرية والافرنجية (لانغوافرانكا) وهذه اللغة هي واسطة التعارف في الاقاليم الكبرى »

وشدد النكير على القائلين إن الاسلام أكثر موافقة لشعوب الافريقية وقال ان من شأن هذه الفكرة أن تحبب المسلم الى الاوروبين وتحملهم على مجاملته مع أن أساس هذه الفكرة واه الا اذا كان معناه أن الاسلام يبيح تعدد الزوجات المنتشر في أفريقية . وقد أظهرت التجارب الكثيرة في الاستعمار الاوربي أن الاوروبيين لا يختلفون في شيء عن الافريقيين من الوجهة العملية

أما ان الاسلام في مستوى أرقى من مستوى الشعوب الافريقية فذلك لان هؤلاء يعيشون على طريقة القرون القديمة ومدنية الاسلام هي بدرجة مدنية القرون المتوسطة ولذلك يسهل على الافريقيين اقتباسها . وأما مدنية أوربة فهي أرقى من المدنيتين الافريقية والاسلامية ولذلك يصعب على الافريقي الوصول اليها والاحتكاك بها

والاوروبيون لم يثبتوا في نشر مدنيتهم في الافريقيين الا في الجنوب ولذلك صبح القيام بهذا الامر واجبا على المبشرين كيلا يعلوا الاسلام على النصرانية . وقد

صار من الواجب على إرساليات التبشير أن تحتك بالمسلمين وتتسلح بالمعدات الكافية لقتالهم وأن لا تخشى ذلك كما كانت تفعل حتى الآن . وينبغي لهم أن لا تكون أعمالهم لاهوتية محضة بل يجب ان يطرقوا أبواب الطب والصناعة وكل الاعمال التي يتفوق فيها الاوربي على الشرقي

الانقلابات السياسية :

ومن المسائل التي عقد مؤتمر لكهنؤ للبحث فيها الانقلابات السياسية في ممالك الاسلام فابتدأوا بالبلاد العثمانية وتقدمت ثلاثة تقارير عن الحالة السياسية في البلاد العثمانية الاول من الاستاذ (استوورد كروفارد) عن (الانقلابات العثمانية) والثاني من القسيس (يتغ) عن (الانقلابات السياسية في جزيرة العرب) والثالث من القسيس (ترويربدج) (عن النظام الجديد والنظام القديم في السلطنة العثمانية) مع ملاحظة موقف أرساليات التبشير في كل ذلك

تساءل استوورد كروفارد في أول تقريره عن الموقف الذي يجب ان تكون به ارساليات التبشير المسيحية تجاه قوات الاسلام الجديدة بعد الانقلابات العثمانية ثم قال ان الامة العثمانية بحصولها على بعض الحقوق الوطنية العصرية قد أخذت تدرج في مدارج نهضة عظيمة وتظهر احساسا وطنيا جديدا أمام المسئولية الديموقراطية . وهذا الامر لايقتصر على الرعايا المسلمين بل يشترك معهم فيه العثمانيون من غير المسلمين وهؤلاء قد بدأوا يتحولون عن فكرة الاستعانة بالدول الاجنبية وحدث بين المسلمين والنصارى تقرب محسوس بالرغم من حدوث بعض حوادث مزعجة

الا أن الاسلام قد ظهر في قالب جديد وذلك لان الانقلاب الذي احدثته الامة العثمانية انما كان أسلاميا محضا بل ان فكرة الدفاع عن الاسلام هي التي أعانت على حدوث الانقلاب

ومن هنا فواجب المبشرين مزدوج أمام هذا المزيج الغريب المتكون من رغبة في الارتقاء والتمسك بالتقهقر ( ) وبهذا الواجب المزدوج يمكن لهم أن يعينوا مركزهم ازاء المسلمين العثمانيين . أما الواجب الاول فهو اظهار المحاملة للقوة الجديدة التي انتبهت في العثمانيين بعدسياتها بالرغم من أن الشعور الاسلامي الحقيقي يعرقل سيرها (!)

وبهذه المجاملة يمكن تنشيط المسلمين لاقتباس الاوضاع الجديدة وترقيتها على وجه يشبه الاوضاع التي تباهي النصرانية بها . ولم يبق لنا أننا رأينا الاسلام لينا وملائما

الى حد تقدير المبادئ النصرانية قدرها . وهذه فرصة ثمينة ينبغي لنا انتهازها للتحكك بالعالم الاسلامي وهدايته الى الانجيل الذي هو أرقى وحي أهداه الشرق للغرب (؟) وما علينا الا أن نستصرخ المسلمين ليستردوا اليوم بضاعتهم الطبيعية فيطابقوا مبادئها على أعمالهم الضرورية من اجتماعية وقومية ويفسروها بأنفسهم على ما يوافق هواهم . ووقتنا أضيق من أن يتسع للطعن في عقائدهم . واذا ثبتنا على تلك الطريقة الفاسدة في إظهار المسيحية بمظهرها أيام الحروب الصليبية فانا نكون قد خذلنا المسيح القانع !

وأما الواجب الثاني فهو الصبر الذي يعرفه من عرف حكمة الانجيل في النمو التدريجي وهي تبتدئ بالعشب ثم بالسنبلة ثم يتبعها انتظار طويل ريثما ينضج الحب . الا أن النمو الاخلاقي بطيء خصوصاً اذا كان متعلقا بأمة من الامم

ثم قال : ان المسلمين يقتبسون من حيث لا يشعرون شطرا من المدنية النصرانية ويدخلونه في ارتقائهم الاجتماعي ، وما دامت الشعوب الاسلامية تدرج الى عادات ونزعات ذات علاقة بالانجيل فان الاستعداد لاقتباس النصرانية يتولد فيها على غير قصد منها (؟)

(وقد علقت مجلة العالم الاسلامي الفرنسية على هذا القول بأنها تكتفي في بيان أهمية ما يقوله استوردكر وهرد بتذكير القراء بالجملة التي اتخذتها جمعية الطلاب المتطوعين للتبشير شعارا لها منذ سنة ١٩٠٥ وهي « تنصير العالم قاطبة في هذا العصر » فان في هذا الشعار ما يدل على أن أقوال المبشرين تدرج نحو الحقيقة !)

أما تقرير القسيس (بنغ) عن الانقلابات السياسية في جزيرة العرب فلم تذكر منه مجلة العالم الاسلامي الفرنسية الا ما يتعلق بحالة المبشرين ، ومما قاله صاحب التقرير ان اليمن وسائر بلاد العرب يوجد فيها دائما متعصبون يرون أن في المساواة بين المسلمين والنصارى ضرراً وقضاء على الاسلام ، ولكن علماء الاسلام المتنورين يقولون ان الشريعة الاسلامية تأمر بالمساواة ثم هم من الوجهة الشخصية لا يمكنهم الموافقة على أن المسيحي يساوي نصف المسلم وان كان المسيحيون مساوين للمسلمين في الحقوق السياسية والشرعية

وهو يرجو ان يكون انشاء الطرق والسكك الحديدية وتشييد المدارس أبوابا ومنافذ بين المسلمين والنصرانية

وختم تقريره بقوله : « انه قد أزف الوقت لارتقاء العالم ، وسيدخل الاسلام

في شكل جديد من الحياة والعقيدة ولكن هذا الاسلام الجديد سيزوي في النهاية ويتلاشى بالنصرانية » (١)

وبعد أن فرغ الخطيبان السابقان من تلاوة تقريرهما قام بعدهما القسيس (ترويربدج) فألقى على مسامع زملائه تقريره عن التضامن الجديد والقديم في السلطنة العثمانية . قال . المبشرين كانوا منذ ابتداء أعمالهم التبشيرية قبل ٨٠ سنة مظهراً لتسامح الحكومة العثمانية كما هو شأنها مع الرعايا الاجانب الذين تحميهم الامتيازات الاجنبية أما المتنصرون الوطنيون فهم على نقيض ذلك لأنهم كانوا دائما عرضة للسجن والطرد كما ان المبشرين من وجه آخر كانوا يلاقون الصعاب والعقاب في سبيل تشييد المدارس والكنائس ونشر المطبوعات

ثم أشار بعد ذلك الى ملخص البند العاشر من القانون الاساسي الذي يحظر خرق حرية الافراد أو القاء القبض على أي شخص ومعاقبته بلا مسوغ منصوص عليه في الاحكام الشرعية الاسلامية والنظامات العثمانية . ثم قال . ومع ذلك يتعذر الوقوف على حقيقة خطة الحكومة بالاستناد على أقوال الكثيرين التي تلقى على عواهنها ، بل ان ذلك يتطلب التنقيب والاختبار الشخصي ، ولذلك قسم الخطيب الكلام في أعمال المبشرين بالنسبة الى مواضعها ليسهل الوقوف على موقف الحكومة ازاء كل منها فقال عن الاعمال المدرسية إن في استطاعة المسلمين التردد الى مدارس وكليات تنشير وبين جدران الكلية البروتستانية في بيروت ١٠٤ من المسلمين وفي كلية الاستانة ٥٠ وفي كلية المبشرين في كديك باشا في الاستانة أيضا ٨٠ ومنذ بضع سنين صدر أمر خفي بجواز التردد على الكلية الاولى والثانية ، وانتقل الى قسم التأليف فقال . كان طبع الكتب المقدسة مباحا منذ مدة طويلة من لدن الحكومة العثمانية الا أن مهمة بائعي الكتب المتنقلين كانت محفوفة بكل أنواع الصعوبات . وأصبح الآن بيع الكتب المقدسة مباحا بسبب حرية النشر التي أعقبت الدستور فبيع في السنة الماضية للمسلمين ما يزيد على ٩٠٠٠ نسخة من هذه الكتب وليس هناك صعوبات تقوم في سبيل بيع الكتب المختصة بانتشار التبشير ، ولكن يجب على المؤلفين عدم الخوض في غمار المناقشات الدينية لان الحكومة الحاضرة لا تسمح البتة بنشر الكتب التي على شاكلة مؤلفات فندر .

---

(١) من الغريب ان يقول هذا القول من يعرف ما هي النصرانية ويعرف شيئا عن الدين الاسلامي الذي هو دين المستقبل لا محالة لانه هو الدين المناسب لحالة البشر ورقيهم الحالي والمستقبلي

وقال عن الاعمال الطبية والخيرية انها منتشرة جداً في البلاد العثمانية ، ومما يجدر ذكره ان القسيس (بيت) التابع لارسالية التبشير في الاستانة عين رئيسا لجنة الاسعاف الخيرية التي تأسست تحت رعاية السلطان عقب مذابح اطنه ، والتبشير الديني جار بلا صعوبة في المستشفيات التي يدير أعمالها المبشرون

ثم قال عن الاعمال النسائية ان الحكومة سمحت عقب اعلان القانون الاساسي لخمس فتيات عثمانيات مسلمات ان يتعلمن في كلية البنات الاميركية ليتهيأن الى ادارة أمور مدارس الحكومة للبنات كما أن عدداً قليلا من البنات المسلمات في الولايات يتردد الى مدارس ارساليات التبشير . أما الحكومة فتظهر الاحتفاظ التام بمحافظة المرأة المسلمة وتحظر على النساء التردد الى الجتمعات العمومية

وقال عن أعمال التنصير ان الحكومة العثمانية تتداخل ولو من طرف خفي عند مايتصل بها خبر اعتناق مسلم الدين المسيحي فتزجه في السجن لاي سبب كان أو تبعده سرا عن وطنه جزاء ارتداده . وكان الاعدام من قبل عقابا للارتداد عن الاسلام ولم يزل المرتد الى أيامنا هذه عرضة لعذاب الاليم . ومما لامرية فيه ان الموظفين المتنورين يمجون هذه الاعمال . أما التبشير الانجيلي في الشوارع والاسواق فمحظور. وقد دخل التسامح في شكل جديد عقيب قبول ادماج المسيحيين في الجندية لان ارتداد المسلم عن دينه كان يعتبر حيلة ووسيلة للتخلص من الخدمة العسكرية . أما الآن فأصبحت مسألة اعتناق الدين المسيحي دينية محضة

ثم قال صاحب التقرير انه يتعذرادراك مايخبئه لنا المستقبل لان بوادر الاحوال تدلنا على ان الحكومة العثمانية لاترغب في منح الحرية الدينية الحقيقية لان الدين الاسلامي هو دين الحكومة الرسمي ولم يخرج القانون الاساسي الى حيز العمل الابقدر انطباقه على الشرائع والتقاليد الاسلامية . ومهما يكن الامر فان ارساليات التبشير لاتشكو ضيما عدا أن أسفر التحقيق الذي أجري في ارساليات التبشير في الاستانة وسلانيك ووان ومرعش وعينتاب عن ان خطة الحكومة الحاضرة موجبة لنهضة همة المبشرين

وبعد ان انتهى البحث في احوال السلطنة العثمانية انتقل المؤتمر الى البحث في الانقلابات السياسية في فارس . فألقى القسيس (اسلستن) الذي مضى عليه ٢٣ سنة في هذه البلاد تقريره في هذا الموضوع فوصف الحالة الحاضرة السياسية والحركة الاجتماعية في فارس . وقال ان عصر الحرية الدينية سيزيد في عدد البابيين أو البهائيين وانه يوجد ألوف من الفارسيين ينبذون الاسلام ويندمجون في بعض المذاهب أو يظلون

بلا عقيدة دينية . فظهر على أثر ذلك توتر في العقائد الدينية الاسلامية في كل أقاليم فارس، وهذه الامور حملت صاحب التقرير على القول بأن الاسلام يخط في البلاد الفارسية (!) وقال : ان أعمال التبشير في هذه البلاد توجب مزيد الحيطة والتستر نظراً للاحوال الخاصة التي تمتاز بها فارس وهو يشير على المبشرين ببذل قصارى الجهد للاقناع واستجلاب القلوب ، الا انه يحذرهم من السب في الاسلام أو ذكر انحطاطه من حيث أصوله الدينية خصوصاً وان موقف الفارسيين تجاه المبشرين هو موقف حسن في الغالب اذ ان كثيرين منهم يرغبون في تربية أولادهم في مدارس المبشرين مع علمهم انهم يتعلمون الانجيل . لكن هذه الرغبة لاتدل على انهم يودون اعتناق النصرانية بل ان تشوقهم الى التعليم صادر عن علمهم أنه هو الدواء الناجح لاتقاء المصاب التي تتخبط فيها فارس الآن . فهم لايرغبون في النصرانية بل جل ما يتوخونه هو اقتباس مبادئ الحضارة العصرية

وبعد أن فرغ المؤتمر من الخوض في الانقلابات في فارس انتقل الى اقاليم آسية الوسطى التي لم تصل اليها ارساليات التبشير مثل افغانستان والتركستان الصينية والاقاليم الروسية الاسيوية فتلى تقرير الكولونل (ج ويحت) الذي يشير الى بعض الاعمال التي يوشرها في آسية الوسطى . فتصح منه أنه تعذر على المبشرين الانكليز اجتياز الحدود الهندية للدخول في آسية الوسطى بسبب العراقيل التي توجدها الحكومة الانكليزية منعا لهم من اجتياز هذه الحدود . ولكن سبقها مبشرون آخرون الى هذه البلاد اذ هبطت ارسالية تبشير اسوجية بروتستانية مدينة (كشغر) و (يركند) وتأسست ارسالية تبشير بحرية في (لح) وعرج مبشرون بلجيكيون كاثوليك على (حولجه) وتوجد ارسالية تبشير طبية دانمركية في (حوبي مردان) تقوم بها النساء ووظيفتها التبشير بين النساء المسلمات وهي على أهبة الهبوط الى (كابل)

ولاشك فيه أن النساء اللواتي يتعاطين الطب يلاقين مزيد الحفاوة لان المسلمين لايخشون بأس النساء المبشرات ولا يضمرون لهن سوءا ولكن يعتور أعمال المبشرين في هذه البلاد صعوبات ويمكننا أن نعرف موقف حكومة الافغان الرسمي بمراجعتنا نبذة من خطاب ألقاه أمير الافغان على مسامع الطلبة المسلمين في مدرسة لاهور اذ قال لهم « لاخوف عليكم من أن الدين المسيحي أو أي دين آخر ينتزع منكم العقيدة الاسلامية بعد اقتباسكم التعليم الغربي ولكن ينبغي لكم أن تقوموا قبل كل

شيء باقتباس العقيدة الاسلامية وأنتم في مقتبل عمركم » . واتضح بعد ذلك ان المنشر (هو غبرع) التابع لارسالية التبشير الاسوجية الذي أخذ يبشر بين المسلمين في التركستان الروسية اضطر أن يفر من مقاومة الحكومة الروسية له الى (كشغر) حيث لقي مزيد التساهل من الحكومة الصينية

وقرئ بعد ذلك تقرير المس (جاني فن ماير) المبشرة . في تفليس وهو يحوي أمورا تاريخية تتعلق بالتبشير بين المسلمين القاطنين في روسية . والقسم الاول من هذا التقرير يتعلق بتاريخ تنصير تتر قازان والى المساعي التي بذلها المنشر الارثوذكسي (ايلمنسكي) لتنصير المسلمين وجعلهم روسيي النزعة وقد لاقى مالاقاه من المقاومة في هذه السبيل نظراً لشدة نفوذ التتر وتسيطرهم على الشعوب غير النصرانية في روسية ، وتقول صاحبة التقرير انه مهما كانت درجة مساعي المبشرين الارثوذكس فانها لاتعادل ما يبذله المبشرون البروتستانت في هذا السبيل . وقد تأسست جمعية التبشير الارثوذكسية سنة ١٨٧٠ وهي منتشرة في أكثر الاقاليم الروسية وسيبرية ومركزها في (موسكو) وأنفقت حتى الآن مايربو على خمسة ملايين ريالا وهي تدير أعمال ٧٠٠ مدرسة يتعلم فيها ١٩٠٠٠ تلميذ وتنصر بواسطتها ٤٤ مسلما سنة ١٩٠٨ ويبلغ ما نصرته للآن ١٦٦٧٠ مسلما ، وأخذ التبشير ينتشر في ولاية (توملسك) بواسطة جمعية التنشير المركزية المخالفة للاسلام وهي جمعية أرثوذكسية . وتوجد جمعيات تبشير أرثوذكسية كثيرة في ولاية (فولغا) تتضافر جميعها على شد ازر التبشير وتؤسس المدارس لتعليم أولاد التتر والشوفاش ، قالت صاحبة التقرير ولكن الاعمال التي يقوم بها المبشرون الروس بين التتر عقيمة لان التتر متعصبون متمسكون بدينهم وهم أنفسهم مبشرون نشيطون ، ثم أشارت الى جمعية التبشير الكنيسة الروسية في القريم وانها تقوم بعمل مزدوج فتعلم المبشرين في مدارس تعلم فيها اللغة التركية والعربية ولها أيضا مبشر يتنقل من محل الى آخر فيتنصر على يده كل سنة أربعة أو خمسة من المسلمين وللمبشرين الروس ارساليات تبشير أخرى منتشرة في الولايات الروسية الاوربية وبعضها طبية، ولكن مهمة المبشرين تزداد صعوبة حيثما وجدت قبائل الكركز والباخير والتركمان قريبة من التتر لان هذه القبائل تقع تحت نفوذها ، وهناك يستفحل النزاع بين المبشرين المسيحيين والتتر .

وانتقلت بعد ذلك صاحبة التقرير الى ذكر الاعمال التي تقوم بها ارساليات التبشير البروتستانية فاعترفت بعدم اهتمام الكنائس البروتستانية الروسية في تبشير المسلمين

مليونا من المسلمين والخمسة الملايين من الوثنيين القاطنين في روسية لانها لم تقم للآن بعمل يذكر ، وقالت ان كنائس بروتستانية أخرى قامت بهذه المهمة ولها مبشرون في تركستان وبين قبائل (الكركز) واهم ارساليات التبشير التي تسعى لتنصير المسلمين في كل اقطار روسية هي ارسالية التبشير الاسوجية التي لها مركز عام في تفليس وفروع تنتشر في بخارى وأورنبورغ وسمرقند و (كشغر) . وبما أن الحكومة الروسية لم تسمح لهذه الارساليات بالتعليم ولا بالتطبيب فهي تكتفي بتوزيع الكتب المقدسة باللسانين الفارسي والتركي وبلغ عدد الذين تنصروا بواسطتها ١٠ شخصا ، اما ارساليات التبشير في بخارى وسمرقند فاضطرت الى توقيف أعمالها عقيب الاضطرابات التي طرأت ، وهذه الارساليات تجد صعوبات شديدة في (بخكيرس) ولم تحصل على نتائج صريحة وتقوم جمعية التوراة الانكليزية والاجنبية بنشر نسخ الاناجيل في كل البلاد الروسية ولها مركزان واحد لاوربة روسية وتركستان والآخر لسيبرية وهما يقومان بنشر الاناجيل في عشر لغات اسلامية ويظهر ان عدد الاناجيل التي تباع للمسلمين ازداد عن ذي قبل وختمت صاحبة التقرير كلامها بالاشارة الى بعض ارساليات تبشير صغيرة منتشرة في الاقاليم التي يقطنها المسلمون .

تلي بعد تقرير المس (جاني ون ماير) الطويل ثلاثة تقارير أولها للقسيس (ويلسن) عن أحوال الهند والثاني للقسيس (جون تكل) عن تقدم الاسلام في الهند والثالث للقسيس (وتبرخت) عن حركات الاصلاح في الهند

وقد جاء في التقرير الاول للقسيس (ويلسن) أن الحركة العصرية التي تتمخض بها الارجاء الهندية لم تأت بثمرة للآن ولم تظهر الا بشكل أفكار وأميال ونزعات . ولكي يتسنى لنا الوقوف على مايكون من تأثير هذه الحركة في أعمال التنصير يجدر بنا الانتظار ريثما تحقق مآرب حاملي لواء الاصلاح في الهند . وليس هناك داع للاستغراب أو دهش اذا أظهر المسلمون عدم اقبال على اقتباس المبادئ الانجيلية لان الاهتمام بالحياة العقلية السياسية الحديثة يدعو الى تعليق الآمال بالنهضة التي ترفع شأن الاسلام فلا يبقى ثمة في نفوس المسلمين موضع للتفكير في أمور أخرى . لكن صاحب التقرير لا يشك في ان التربية الغربية هي من قبيل قوة تحل بها عرى الروابط الاسلامية . وقد قال بعد ذلك : « ان مطالعة التاريخ المجرد من المحاباة والتعرض تميط اللثام عن حقيقة مصادر الاسلام لان العقل الذي اعتاد التنقيب العلمي لا يقبل الاعتقاد عفواً وبلا روية بالعقائد التقليدية ! » وهو يعتقد أن انتشار التعليم يساعد على تبديد

الخرافات القديمة بخصوص المسيحية . واختتم القسيس ويلسن تقريره معرباً عن أمله الوطيد بالحصول على نتائج حسنة في المستقبل

وتلاه القسيس (جون تكل) فاستهل تقريره بالقاء نبذة في تاريخ انتشار الاسلام في الاقاليم الهندية وقال : ان الاسلام آخذ في الازدياد وان العراقيل التي تلقى في سبيل انتشاره تكاد تكون في حكم العدم . وأشار الى مقاطعة البنغال فقال ان عدد المسلمين فيها بلغ سنة ١٨٧١ ستة عشر مليوناً ونصف مليون وكان الوثنيون ١٧ مليوناً

ثم اتضح من احصاء سنة ١٩٠١ ان المسلمين في هذه المقاطعة صاروا ١٩ مليوناً ونصف مليون وأن الوثنيين صاروا ١٨ مليونا . ثم تساءل عن أسباب نمو المسلمين وأجاب أنه لايمكن أن ينسب هذا النمو الى تعدد الزوجات لان ٢٩ في المائة فقط من مسلمي البنغال متزوجون بأكثر من واحدة ، كما أنه لا يمكن القول بأن هذه الاسباب ناشئة في أكثر الاوقات عن التثبت بصحة العقيدة الاسلامية لأنه اتضح له من التحقيق الذي قام به الوقوف على الاسباب التي حملت ٤٠ شخصاً على اعتناق الدين الاسلامي في أوقات متفاوتة ان ٢٣ منهم اعتنقوا الاسلام لاسباب ناشئة عن العواطف وسبعة منهم لارتباك في أحوالهم والباقون أسلموا لاسباب مختلفة . وقد أسفر التحقيق الذي قام به مبشرون آخرون عن نتيجة واحدة من حيث نسبة الاسباب الى مسبباتها . وقال ان الوقوف على أسباب نمو الاسلام يمهد الحصول على وسائل توقيف تياره ولذلك ذكر لاعضاء المؤتمر بعض اقتراحات تتعلق بالاحتياطات التي يجدر بالمبشرين اتخاذها وأهمها ضرورة زيادة القوات التبشيرية الاختصاصية وأيد اقتراحه بقوله ان ثلث مسلمي الهند — الذين بلغوا في احصاء سنة ١٩٠١ اثنين وستين مليوناً ونصفاً — نازلين في مقاطعة البنغال ومع ذلك فلا يوجد في هذه البلاد مبشرون اختصوا بتبشير المسلمين

وانبرى بعد ذلك القسيس (وتبرخت) فتلا تقريره وما قاله أنه يجدر بالمبشرين اظهار مزيد اللياقة عند ما يحتكون بالمسلمين المتنورين وان ظهور بعض الجهل بمظهر العظمة والغطرسة قد زال الآن وحل محله احترام حسنات المدنية المسيحية ؟ وأعمال الدين المسيحي الخيرية(؟) . ثم أوصى المبشرين بالتواضع وقال لهم اذا كان المسلم يبالغ في سؤدد ومجد حضارة بغداد وقرطبة ودرجة ترقي أفكار علماء العرب فلنتذكر نحن أيضاً ان هذا التاريخ يحوي صحائف مجيدة ولنتذكر أيضاً انه وان

يكن الاسلام بق دين الشعوب التي هي دونا في المدنية فان أنصاره نجحوا أكثر من المسيحيين بإزالة الحواجز التي تفصل بين الاجناس

ثم جاء بعد ذلك دور المستر رودس التابع لجمعية التبشير في الصين الداخلية وهي الجمعية الوحيدة التي توغلت في الصين وبعد أن تكلم في نسبة المسلمين العددية وأحوالهم الاجتماعية والسياسية تكلم عن أعمال التنصير التي يقوم بها المبشرون فقال : ان أعمال المبشرين كانت حتى الآن في زوايا الاهمال الا أن المجهودات التي بذلها هؤلاء تكللت بالنجاح وأبادت حزازات كثيرة فتوطدت العلاقات بينهم وبين المسلمين واعتنق بعض المسلمين الدين المسيحي ، وهم منهمكون الآن بنشر الانجيل ولكن لم يبلغ مسامعه ان عالما مسلما اعتنق الدين المسيحي ثم أشار بعد ذلك الى العقبات التي يلقاها المبشرون في الصين وأهمها ضرورة وجود لغتين للمبشرين اللغة الصينية التي تستعمل مع العامة واللغة العربية لاجل العلماء والطلبة وبوجد هنالك عقبة أخرى وهي صعوبة وجود كلة في اللغة الصينية بدلالة على اسم الجلالة . واختتم تقريره بلفت أنظار المبشرين الى الصين وقال ان مصر ليس حديث الاسلام في الصين الا ان علماء المسلمين يتكلمون على هدم البلاد من اهند وجزيرة العرب وبلاد الدولة العثمانية لاجل توطيد أركانه هناك وحض الخطيب أعضاء المؤتمر على تحرير عدد المبشرين الواقفين على اللغة العربية وارسال نساء مبشرات للقيام بالتبشير الطبي وسط النساء الصينيات وطلب تأسيس ارساليات طبية ومستشفيات

ثم أتى على مسامع المبشرين سؤال يتعلق بمسلك الحكومات نحو المبشرين ويتضمن البحث عن أحوال المسلمين الموجودين تحت سيطرة المسيحيين أو الذين تحت حكم الوثنيين وقد اتضح من الخوض في هذا الموضوع ان (هولندة) هي الحكومة الوحيدة التي تروج أعمال المبشرين وتستحق رضاهم عليها ، ويظهر أن المانيه أخذت تقتدي بها في مدة قريبة أما انكلترة فهي هدف لانتقاد المبشرين لانهم يزعمون أن المسلمين في مصر يهضمون حقوق الاقباط لان التعليم الديني الاسلامي جبري في المدارس المصرية والحكومة المصرية هي التي تنفق عليه (١)

أما التعليم الديني للتلاميذ الاقباط فاختياري ويتكفل بنفقته المجلس الملي القبطي. وأما في السودان فأعمال المبشرين معرقلة حتى ان كلية غوردون التي أسستها الامة البريطانية أصبحت مدرسة اسلامية محضة والحكومة الانكليزية في نظر المبشرين

(١) اقرأ رسالة « المسلمون والقبط »

ملومة على اتباعها خطة الحياد وشدها أزر المدارس الاسلامية في مقاطعة (سيراليونه) كما ان ذوي الامر من الانكليز في نيجيرية لا يحسنون معاملة ارساليات التبشير المسيحية ولا يسمحون لهم بفتح المدارس العصرية بكل حرية بينما هم يعضدون المدارس التي تعلم القرآن . وأما الحكومة الفرنسية فتسلك خطة الحذر التي لا تنطوي على الود والاخلاص نحو المبشرين لان علاقاتها معهم في مدغسكر لم تحسن ، وان تكن سمحت لهم بارتياد الجزائر وتونس بدون تضييق وبخشى أن تحظر عليهم التجول في الصحراء والنيجر وأقاليم بحيرة تشاد أو واداي ، وقد لام المبشرون الحكومة الروسية لتباين أعمالها فقد يتفق في بعض الاوقات انها تروج أعمال المسلمين التي تضر بالمسيحيين التابعين للكنيسة الرسمية الروسية .

أما خطة الحكومات الوثنية نحو المبشرين فتختلف باختلاف طباع ومزايا الحاكم الوثني . وقد قال المبشرون انه مهما بلغ طيش الحاكم الوثني وهمجيته ودرجة اضطهاده فهي لا تبلغ درجة الاضطهادات والاعمال الهائلة التي تخللت تاريخ الاسلام (!) وهم يفضلون ان يكونوا مرتبطين بعلاقات مع الوثنيين المستعلين لانه مهما كانت فائدة حلول الحكومة الغربية محل الحكومة الوثنية فانها تروج تيار الاسلام (!) وتكون مجلبة للعراقيل في وجه المبشرين من حيث الاعمال التي يقوم هؤلاء بها تجاه المعضلة الاسلامية وقال المبشر (وتسون) ان الواجب الضروري يقضي على المبشرين بالاهتمام بأمر البلاد الوثنية التي يتهددها الاسلام !

الجلسة الختامية لمؤتمر لكهنو

ثم قالت مجلة العالم الاسلامي الفرنسية انه يتعذر عليها أن توفي البحث حقه عن سائر موضوعات هذا المؤتمر لان هناك كتابا آخر ظهر في عالم المطبوعات وفيه باقي ابحاث المؤتمر ولكننا لم نحصل عليه . وهي تكتفي الآن بذكر بعض أمور تتعلق بالجلسة النهائية للمؤتمر وهي

ألقى الرئيس خطابا يشير فيه الى ارفضاض المؤتمر ثم وزعت على الاعضاء رقاع مكتوب عليها من جهة : « تذكار مؤتمر لكهنو سنة ١٩١١» ومن الجهة الاخرى العبارة الآتية : « اللهم يامن يسجد لك العالم الاسلامي خمس مرات في اليوم بخشوع انظر بشفقة الى الشعوب الاسلامية وألهمها الخلاص بيسوع المسيح . »

أما القرارات التي دونها المؤتمر في محضر جلساته فهي كما يأتي :

يعقد المؤتمر مرة أخرى في القاهرة سنة ١٩١٦ واذا طرأت هناك أسباب سياسية أو أمور أخرى تحول دون اجتماعه في هذه المدينة فيعقد حينئذ في لندرة . ومؤتمر لكهنو يوافق مؤتمر ارساليات التبشير الذي عقد سنة ١٩١٠ على ضرورة بذل المساعي في القارة الافريقية دون أن تمس المساعي التي تبذل في البلاد الباقية .

ولذلك فهو يرى أنه يجدر بالجمعيات التبشيرية أن تتكاتف وتتعاضد لكي تؤلف سلسلة قوية من ارساليات التبشير تطوف كل أفريقية وتؤسس مراكز قوية في الاماكن التي هي موطن الخطر .

ويجب أن يكون إخراج هذه الفكرة الى حيز الفعل موضع بحث أهم وأوسع مما كان في السابق سواء من حيث تربية المبشرين أو حسن اختيارهم ، الأمر الذي يحتم اتخاذ التدابير بلا تأخير لاتمام المشروعات التي بوشر بها .

ويرى المؤتمر أن من الضروري العاجل تأسيس مدرسة في مصر خاصة بالتبشير تكون عامة لكل الفرق البروتستانية . ويشدد بلزوم التدقيق التام في انتقاء المبشرين الاكفاء الممتازين بصفاتهم ومواهبهم العقلية ولزوم تعليمهم اللغة العربية بوجه خاص مع تاريخ الدين الاسلامي وأهم المؤلفات التي تتعلق به

وأعضاء المؤتمر يدعون اللجنة الدائمة لان تدرس بمزيد الدقة أدوار تقدم الاسلام في أفريقية وجزائر الملايو ليكون بحثها أساساً للمناقشات في المؤتمر المقبل

ولما كان تنصير النساء المسلمات مع أولادهن وقم شأنهن(؟!) يتطلب دخول النساء المسيحيات في العمل فأعضاء المؤتمر يشيرون على ارساليات التبشير بالتشديد على المبشرين والمبشرات بضرورة التحكك بالرجال والنساء عند قيامهم بأعمالهم التبشيرية وأن توسع نطاق الاعمال التبشيرية التي تقوم بها النساء في أفريقية بوجه خاص . وان تمس تربية النساء المبشرات

وختم المؤتمر قراراته بتنبيه همة الكنائس التبشيرية لارسال قسم من المبشرين الموجودين لديها ليشدوا أزر المبشرين في أفريقية

التنظيم المادي لارساليات التبشير

انتقلت بعد ذلك مجلة العالم الاسلامي الى البحث في التنظيم المادي لارساليات التبشير البروتستانية الاميركية والانكليزية والالمانية فاستهلت بحثها بوصف حصة

التبشير للكنيسية الانكليزية وقالت ان هذه الجمعية التي يكثر ذكرها على صفحات هذه المجلة هي أهم جمعية تبشيرية بروتستانية

وقد مضى على تأسيسها ١١٠ سنين ويدير أعمالها ١٤٥ أسقفا ينوبون عن الرئيس وهو أسقف كنتربوري الانكليزي وقد كانت ايراداتها سنة ١٧٩٩، خمسة وعشرين ألف فرنك فبلغت سنة ١٩١٠ عشرة ملايين من الفرنكات وهذا غير المبالغ الهامة التي ترد لها وتصرفها في سبيل التبشير من غير تدوين في سجلات صندوق الجمعية

ومن مراجعة التقارير التي نشرتها هذه الجمعية سنة ١٩٠٦ اتضح لنا أن مجموع الاكتتابات والايرادات التي وردت على الجمعية في هذه السنة من البلاد الانكليزية فقط ٣٢٨،٥٢٩ جنيها . وبلغت الايرادات الاخرى ١٠٠ الف جنيه وهي مؤلفة من الاكتتابات التي ترد اليها من البلاد الاجنبية ومن المبالغ التي يجمعها المبشرون. ولها فروع عديدة لجمع النقود لا تقع تحت حصر

ولادارة هذه الجمعية أهمية كبرى تظهر لنا من مراجعة النفقات التي تتكبدها وهي انها أنفقت سنة ١٩٠٦ مبلغ ١٦،٥٨٤ جنيها في سبيل ادارة أمورها ومبلغ ٢٧،٥٨٤ جنيها في سبيل تحصيل الاكتتابات والايرادات وقد كانت ايرادات هذه الجمعية في السنة الماضية ٤٠٣،٦١٥ جنيها ونفقاتها ٣٩٤،١١٣ جنيها وبلغ ما أنفق على الاعمال التبشيرية ٣٢٥،٠٠٠ جنيه منها ٢٥٠،٠٠٠ جنيه صرفت للمبشرين الموجودين في غير البلاد الاسلامية . فيكون مجموع ما تنفقه هذه الجمعية كل سنة لتحكك بالاسلام ٧٥٠،٠٠٠،٤٠٠ من الفرنكات . وهي موزعة كما يأتي ٢١٥٢١ جنيها لافريقيه الشرقية و ٣٢٠٤٨ جنيها لافريقية الغربية و ٦٢٣٤ للتبشير في القطر المصري و ٨٢٢٤٧ جنيها للبلاد العربية والعثمانية والفارسية و ١٢٠٨٤٦ جنيها للهند و ٥٩٦١١ للصين

وقد قالت هذه الجمعية في تقريرها عن سنة ١٩١١ ان أعمال التبشير في البلاد الاسلامية ما زالت صعبة وعرضة للنفقات الجسيمة الا أن نتائج أعمالها أخذت تظهر للعيان . وقد قال ان نطاق الاعمال التبشيرية اتسع عن ذي قبل في فارس . أما في مصر فكل المجهودات تبذل في نشر التبشير وتوسيع نطاق التعليم في الارياف وقد كان من شأن السكة الحديدية التي أخذت تجوب شمال نيجريا انها مهدت لمبشري هذه الجمعية سبيل تأسيس مراكز تبشيرية في الامكنة الاسلامية . والاسلام

يدفع نحو اقتباس المدنية المصرية وهذه النهضة التي يدب دبيبها في صدور المسلمين تدعو الى تنافس حقيقي بينهم وبين المبشرين للاستيلاء على المراكز التي يتوخونها ، وقد ظهرت هذه النهضة أيضاً في افريقية الشرقية الألمانية حيث صارت السكك الحديدية منهمكة بنقل بضائع المسلمين الى أحشاء البلاد وكذلك الحال في السودان المصري الذي ظهرت فيه حركة اسلامية حقيقية تطرقت الى داخل البلاد ، وتوجد أيضاً في نيجيريا الشمالية بعض اقاليم وثنية على حدود بلاد اسلامية كبيرة وهذه الاقاليم أصبحت عرضة لنحو الاسلام الطامي ، أما في نيجيريا الجنوبية فينتظر حدوث نزاع بين المسلمين والمبشرين من يوم الى آخر ويتفوق المسلمون في أكثر هذه الاقاليم على ارساليات التبشير في المال والنفوذ وبينما كان مسيحيو مدينة (ابابوكوتا) يجمعون مبلغ ٧٥٠٠٠ فرنك لاجل بناء مدرسة كان مسلمو مدينة (لاغوس) يجمعون ٢٥٠٠٠٠ فرنك لبناء مسجد جديد .

والجمعية أيضاً ارساليات تبشير في مقاطعة (سيراليونه) يرجع عهدها الى سنة ١٨٠٤ فيها ٦٣ مدرسة و٣٩ معهداً يتعلم فيها ٥٠٠٠ و ٤ طالب . والمسلمون في هذه المقاطعة كثيرون وأعلبهم في داخل البلاد ، وقد كان لمبشري هذه الجمعية القدح المعلى في توسيع نطاق المستعمرات الانكليزية بأواسط افريقية وغربها ، لان المبشرين كانوا يستعينون بالزنوج المتنصرين في ارتياد البلاد وتأسيس مراكز التبشير وتوطيد نفوذ الانكليز ، وكذلك هي ارساليات التبشير في (لاغوس) و (ابابوكوتا) و (ابادان) و (لوكوجه) ، وحاصل القول ان لهذه الجمعية في هذه الجهات ثلاث أسقفيات وهي في (يوروبا) ونيجيريا الجنوبية ونيجيريا الشمالية ، وفي المقاطعة الاخيرة يجد المبشرون أنهم في بلاد أسلامية محضة ، وفي المقاطعة الاولى والثانية لا يوجد من المسلمين الا التجار وأصحاب القوافل كما هي الحال في لاغوس ، والمعاهد والمدارس التي للجمعية في نيجيريا الشمالية قليلة بالنسبة لغيرها للسبب الذي ذكرناه وهو كثرة وجود المسلمين فيها ، وتقول الجمعية في تقريرها ان تقدم المسلمين في مقاطعة (يوروبا) موجب لقلق الشديد ومما يدل على ذلك انهم خصصوا ٢٥،٠٠٠ فرنك لتشييد مسجد في (ابابوكوتا) كما ان الاسلام ينتشر انتشاراً هائلا في مقاطعة (إيجابو) التي كانت سنة ١٨٩٢ وثنية محضة فأصبحت لا تخلو قرية من قراها من مسجد حتى أن

مدينة (إيجابو أود) لايكاد يخلو شارع فيها من مسجد للمسلمين وقد توطد نفوذ الاسلام في (أود)

والمسلمون أحرزوا في المدة الاخيرة حقوقهم المدنية والحرية التامة في اقامة الصلاة وشعائر الدين الاسلامي مع ان ملك هذه البلاد كان لايطيق ذكر المسلمين وكذلك يزداد عدد المساجد في (يوروبا) الغربية التي تؤسس بجانبها المدارس العديدة لتعليم اللغة العربية ورغما عن كون الاهالي في بعض الجهات مثل مقاطعة (ايبوس) يبتعدون عن الاسلام فان نطاق الاسلام آخذ بالاتساع ففي (اكتسا) مثلا الواقعة في نيجيريا الشمالية لاتجد محلا خاليا من المعلمين المسلمين . وآية ذلك ان المسلمين يهبطون القرى الوثنية ويحتكون بأهلها ولا يمضي ردح من الزمن حتى يستعمل الوثنيون الاسماء الاسلامية ويحملون الآثار الدينية التي يحملها المسلمون ، ثم يتدرجون في الاسلام ، والامر الذي أوجب انتشار الاسلام في (كوتا) هو الازدواج الذي يحصل بين المسلمين والوثنيين ، أما في (بوني) ففضل انتشار الاسلام عائد الى التجار (الهوسيين) الذين ينشرون الاسلام ويبيعون بضاعتهم في آن واحد وقد استفحل أمر المشكلة الاسلامية في أعين مبشري الجمعية في مقاطعة (يوروبا) لدرجة ان المبشرين هناك يطلبون الذهاب للتبشير بين قبائل (بربري) الوثنية القاطنة في (بورنو) والتي تتراوح بين المليون والمليونين من النفوس وقد قال القسيس « أوغيني » في تقريره عن (يوروبا) انه أراد التحكك ببعض مسلمي (ايلورن) فطلب منه بعضهم تأسيس مدارس وقال له آخرون انهم يأسفون لعدم تمكنهم من قطع رأسه ! وقد ظهر للمبشرين ان نفوذ العناصر الفولانية والبولانية والاسلامية منتشر حتى في الاقاليم الوثنية المحضة .

« يتلى »

اخبار العالم الاسلامي

﴿ المسلمون في مجلس الدوما (النواب) الروسي ﴾

« خطبة صدر الدين افندي مقصودوف النائب المسلم في الدوما »
« عند البحث في ميزانية الوزارة الداخلية »

سبب الكلام في شؤون المسلمين خاصة

يـ وكلاء الشعب المحترمين : لا أتكلم في سياسة الوزارة الداخلية الامن حيث تعلقها بالمسلمين .

أيها الافندية ! نحن وكلاء حرب المسلمين اذا بدأنا الكلام على هذا المنبر في شؤون المسلمين خاصة ربما يتساءل كثير منكم « لاي شيء تخص المسلمين فقط ؟ ولماذا يكون الكلام في ضغط الحكومة على المسلمين خاصة ؟ وربما تقولون ان هذا الضغط كان يصيب كل واحد من سكان روسية من غير فرق في الجنس والدين » وهـذا ليس بصحيح على اطلاقه . فنحن المسلمين يصيبنا كثير من الضغط على افرادنا غير ما يصيبنا منه مع مواطنينا الآخرين

لكل أمة من الامم مميزات وعادات محترمة لديها تمتاز بها عن الامم الاخرى ، والحكومات العاقلة مهما قاومت الحركة الطبيعية فانها لا تمس (عادة) هذه الاشياء المحترمة عند الامم . وهذه المميزات هي لغة الامة وأدبياتها ومدارسها وما يتبع ذلك . أما حكومتنا فهي لا تزال الى الوقت الأخير تمس بالشر هـذه الاشياء العزيزة لدينا ، تطارد مدارسنا وأدبياتنا ولغتنا ونحن بها عرفنا الدنيا وبها تكلم أمهاتنا وفيها تربينا منذ صغرنا . أيها الافندية ! عند ما يقع علينا مثل هذه الضربات لا يمكننا أن نسكت غير مهتمين ولا مبالين .

قلما يصعد حزب المسلمين في الدوما هذا المنبر وذلك عند نفاد الصبر وبلوغ الالم في النفس مبلغه فلا نتكلم الا عند مايكون الكلام لابد منه ، لذلك أيها الافندية نحن لانقدر على الكلام غير متأثري العواطف (أصوات من اليمين قائلة هل تقدر احساساتكم بشيء من المال ؟)

انتم لاتمحون احساسي من هذه الجهة فدعوني اتكلم بحرية في كل ما أريده وأرجو عدم قطع كلامي بأصوات شتى لا سيما من جهة اليمين

الضغط الحاصل على المسلمين

قبل بيان أسباب سياسة الحكومة ضدنا وما كان لها من النتائج اجدني مضطرا لتعداد أعمال الحكومة غير القانونية ضدنا في غضون سنة واحدة ، وأكتفي بأن أعد منها كبارها اذ لايمكن احصاء جميعها . من ذلك التفتيش والسجن الذي وقع على الاشخاص الآتية اسماؤهم ، فتشوا دار حسن صبري آيوادف معلم اللغة التركية في « لازارفسكي اينستيتوت » بمدينة مسكوف ثم سجنوه ونفوه . وفتشوا دار ملاعبدالله آپانايف وملا عالم جان عليف في مدينة قزان وأخذوا منهما كتبا وأوراقا كثيرة . وسجنوا ٩ معلمين وعبدالله نعمة الله وعبد الله نعمة الله من كبار العلماء في قرية بوبي بولاية واتكه وأخذوا وقت إجراء التفتيش ٥٠٠ مجلد من الكتب وكثير منها كتب دينية .

(الرئيس ـ يامقصودف ! أرجو أن لا تطول بك التعداد

مقصودف ـ لايأذن لي الرئيس أن أعد الوقائع كلها فيجب علي أن أكتفي بان مثل هذه الوقائع مكتوبة عندي حيث تملأ دفترا)

في سنة واحدة فقط أجري التفتيش على ١٥٠ من أعيان المسلمين واقفلت مكاتب عديدة جدا وبيوت للمعارف والمدنية .

أقفل في مدينة خوقند وحدها عشرون مكتبا بأمر مفتش المعارف هناك وطرد معلموها . وفي قرية آرصاي بولاية صمار التابعة لمتصرفية بوغورصلان أقفل المكتب وطرد معلمه ، وأقفلت دار كتب السعادة « كتبخانه سعادت » في مدينة

منبراء بولاية اوفا وكذلك اقفلت مطبعة « اورنك » في مدينة قزان وطرد معلمو المكاتب في بلدة ورخني اوديكي وكذلك في قرية آيوأوراز في متصرفية بوغوله بولاية صيار . وأقفلت مدرسة حسن يونامارف في بلدة بترپاول . ومنع المدرس محمد امين من التدريس في بلدة « اوش » وأقفلت مكتبة علي طاربي في بلدة باغچه سراي ، ولم يؤذن ببناء جديد بدل مكتب قديم في بلدة آلماطا . وأقفلت مطبعة كارا كوف في مدينة قزان . ومنع احساف وبانتاليجف من تعليم الاولاد في بلدة ساريجن ومنع مصطافين وشرف وزبيرف من التدريس في مدينة قزان ومنعت أيضا المعلمة نفيسة كازاكوا من التعليم في مكتب البنات في بلدة تروش ولم يأذنوا لنورقاري بافتتاح شعبة بجوار مدرسته لتعليم اللغة الروسية في مدينة طاشقند . ومنع حسين مكايف من التعليم في بلدة نمنكان وقرر مجلس شورى الدولة إقفال الجمعيات في مدينة استرخان وشكي وسمير وأقفل مكتب عند المسجد الجامع في مدينة قزان وعزل بولاية قزان ما ينوف عن عشرين من الائمة عن مناصبهم من غير سبب

وبناء على رجاء حضرة الرئيس بالاختصار في التعداد لا أطيل القول فيه ومع ذلك يمكنني أن أقول هذه الكلمات بشأن الجرائد الاسلامية : وقفت جريدة الشمس « كوش » اليومية التي تصدر في مدينة باكو وكذلك أوقفت فيها مجلة « هلال » و « معلومات » وغرمواجريدة « وقت » أكثر من ٨٠٠ روبل في سنة واحدة وكذلك غرموا « صدى » و « معلومات » ومجلة « آيقاب » القزانية غرامات متعددة . لم أعد كل الوقائع بل ذكرت بعضا من كبارها ، وخلاصة القول أنها أجريت التفتيش على ١٥٠ مسلما وأقفل أكثر من ٧٠ من المكاتب والمدارس وطائفة من الجرائد

سبب الضغط

عند ما نرى ايذاءنا بهذا المقدار يقع على الائمة ونرى اقفال ذلك القدر من المكاتب والمدارس بتصرف ، من غير اختيار الى التفكر بأحد أمرين اثنين . وهما إما ان الحكومة الروسية لا تحب رقينا ودخولنا في المدنية فتريد أن تقاومنا بكل الوسائل الممكنة ، وإما انها تغلط بزعمها وجود فكرة وحركة بين المسلمين

ضد روسية فترى من الضروري التذرع بالوسائل لمنعها .

وعلى ظني ان هذين الاحتمالين صحيحان كلاهما وذلك ان من العادة القديمة للحكومة أن تردع المسلمين وتسكتهم كلما بدا منهم الاجتهاد والسعي الحثيث الى الرقي والمدنية . الحكومة لا تريد تقدم المسلمين ورقيهم ولكن هذه الخلال في الحكومة الآن أقوى وأوضح منها في الماضي . الوسائل المتخذة ضد حركتنا المدنية الآن تتخذ على ادعائهم ضد الجامعة الاسلامية .

تقول الحكومة وحزب اليمين . نحن نصارع المسلمين ونتخذ الوسائل الشديدة ضدهم لانه يوجد بينهم حركات هائلة تدعى « الجامعة الاسلامية »

نورد هنا مسألة وهي : هل توجد حركة هائلة بين المسلمين؟ وهل توجد حركات وأعمال ضد الامبراطورية مهما كان نوعها وشكلها هاهم يدعون وجودها ونحن ننكره .

ما هي الجامعة الاسلامية ومن أين أنت

أيها الافندية ! في الايام الاخيرة اخذت جرائد حزب اليمين تتذرع بوسائل شتى ضد الجامعة الاسلامية ، ولما عرفنا احد الجامعة الاسلامية من هذه الجرائد ومن الحكومة نفسها راجعنا مرارا من الائمة والمعلمين والتجار وسألناهم عن وجود حركة بين الناس يمكن أن تسمى الجامعة الاسلامية فأخبرهم الخبرة من هذا السؤال ولم يفهموا لها معنى . فلم يبق لنا من مصدر للبحث عن وجود هذه الجامعة وانتشارها الا مراجعة الحكومة . ولقد وجدت معنى هذه الكلمة العجيبة في ورقة من أوراقها وفيها تحديد الجامعة الاسلامية هكذا : الجامعة الاسلامية هي حركة بين المسلمين لتوحيدهم جميعا من حيث المدنية والسياسة : ومبين فيها أيضا أن الجامعة الاسلامية منتشرة انتشاراً كبيراً في جوار نهر (أيدل - قما)

فالقول بوجود الجامعة الاسلامية بيننا هو اتهام لتتر (ايدل - قما) بالسعي لتوحيد مسلمي الأرض جميعا من حيث المدنية والسياسة .

أيها الافندية ! لا أدري . هل يمكن اشتغال التركستان نواحي نهر (ايدل - قاما) وهم ٤ أو ٥ ملايين فقط متأخرون من حيث المدنية ومضطهدون من الحكومة وفقراء من الجهة المادية بهذه المسألة العظيمة - مسألة توحيد المسلمين

القاطنين في الهند وجزر الفيليبين والانحاء الاخرى من آسيه وأفريقيه وغيرهما من القارات الارضيه ، ولم يتمكن كبار الدهاة من مثل هذا العمل كنابليون والاسكندر المكدوني ، ويتهموننا أيضا بوجود فكرة ببابيتنا وهي فكرة الانفصال عن روسيه .

ايها الافنديه الخالصين في اليمين ! لنفكر قليلا كما يفكر العقلاء المستنيرون متجردين من الافكار الاخرى ، (تسمع كلمات من ناحية اليمين : ماذا تقولون؟ يسكتهم الرئيس ، ويصيح النائب بور يشكويج مستهزئاً : كنتم قد اعترفتم الآن أنكم غير متمدنين !) افكروا قليلاً هل يمكن لاربعة ملايين من التتر المتأخرين في المدنية والاقتصاد وهم بين ١٠٠ مليون من الروس وقد قبلوا منذ القرن السادس عشر تبعية حكومة الروس وعاشوا أربعة قرون ساكتين مطمئنين ـ هل يمكنهم أن ينهضوا دفعة واحدة ويشتغلوا بفكرة توحيد مسلمي القارات الخمس توحيدا مدنيا وسياسيا ؟ !

أيها الافنديه ! يمكن أن يؤتى بمثل هذه الحكايات على سبيل الفكاهة فقط وأما من طريق الجد فلا يجوز ان يؤتى بها ولا سيما إذا حصل بسببها إقلاق راحة أقوام هادئين مطمئنين فحينئذ يكون مثل هذا القول مضراً وخطأ سياسياً لا يغتفر

ايها الافنديه ! لو لم تكن تلك الافكار الباطلة عن وجود الجامعة الاسلامية سببا في الضغط الذي ذكره لما كنت قائلاً شيئاً في هذه الجامعة الخيالية ، فالسبب الرئيسي لما حصل من الضغط في السنين الاخيرة هو الاتهام بوجودها بيننا (هنا يقوم بور يشكويج ويصيح : اقرأوا انتم كتاب بمدوكيف وأنا أعيركم اياه اذا لم يوجد عندكم . والرئيس يسكته ثانية)

هكذا ايها الافنديه ! لا يمكن اسناد الجامعة الاسلامية ـ التي معناها توحيد المسلمين كلهم توحيدا مدنيا وسياسيا ـ الى ٤ أو ٥ ملايين من المسلمين القاطنين في نواحي « أيدل ـ قاما » . لست أدري من ذا الذي جاء بهذا الخيال العظيم ، هل نحن المرتقين ؟ أم العامة الذين يكونون عادة بعيدين عن أمثال هذه الافكار العظيمة ؟ لا يمكن للمستنيرين من المسلمين أن يشتغلوا بأمثال هذه الفكرة التي تظن الدهاة أنها فكرة ساقطة غير رائجة .

أيها الافندية ! الجامعة الاسلامية هي خيال محض لاغير . وهي مما جاء به المبشرون ادعياء السياسة الذين اتخذوا عداوة المسلمين أساساً لعلمهم، ولا وجود لها الا في كتبهم ومقالاتهم

أيها الافندية ! يمكنكم أن تسألوني الآن : إذا لم يكن للجامعة الاسلامية وجود فمن أين جاءت هذه الفكرة ؟ ولأي شيء بدأت جرائد حزب اليمين تكثر من الكتابة فيه ؟ فأنا مع الامتنان لكم أجيب على هذا السؤال قائلا : الجامعة الاسلامية هي مما فكر فيه حتى أخرجه الى الوجود الذهني مبشرو الروس ادعياء السياسة، وهي ليست من مبتكرات أفكارهم وحدهم بل كانت هذه الفكرة موجودة من قبل ، وكان يكتب فيها قديماً المستشرقون من تبعة الدول الاجنبية اللاتي لهن تبعة من المسلمين . وهم يفكرون : انه اذا كانت الجامعة الجرمانية قد وجدت والجامعة السلافية كذلك فكيف لا توجد الجامعة الاسلامية ؟ ولكن لا يوجد فيهم من قال بوجودها فعلا وتماماً يكتبون فيها كتابة ويحررون وجود فكرة سياسية باسم الجامعة الاسلامية ولا يستبعدون أن يكون ظهور الجامعة الاسلامية الى الوجود أمراً مرغوبا فيه عند مستشرقي الالمان والنمسة والمجر، والظاهر أن المبشرين عندنا قد سمعوا تلك الاقوال فتمسكوا بها وأخذوا في استعمالها بمهارة زائدة لمنافع جمعياتهم الروحية، وها كم الدليل على ما اقول :

توجد عندنا جمعيات تسمى جمعيات المبشرين . أكبرها جمعية مبشري الارثوذكس وعندها أموال كثيرة جداً ، ولكن أكثرها هجوما على المسلمين جمعية اخوان الجبل المقدس (برانستواسوه توي غوري) في مدينة قزان ويمكنني أن أقول انني قد طالعت أدبياتهم من زمان بعيد منذ صغري .

أيها الافندية : كلمة الجامعة الاسلامية لا تكاد توجد في أدبيات المبشرين المدونة الا منذ سنة ١٩٠٨ . هم يعيبون علينا ان ننظر الى أدياننا بعين غير عيونهم وعدم الرغبة في دخول المكاتب الروسية ، ويقولون ان الائمة يقاومون انتشار النصرانية وأحيانا يعيبون الحكومة لعدم مشيها على رأيهم في اكراه المسلمين على التنصر ، كل هذه الاشياء موجودة في كتبهم وأدبياتهم ، ولكن

لايوجد ولا لكلمة واحدة في الجامعة الاسلامية الى سنة ١٩٠٨ وبعدها صارت تكتب مقالات وأخبار في الجامعة الاسلامية في مجلاتهم ورسائلهم المنتشرة ، بزي صورة ينبغي لنا أن نفهم ذلك ؟ لأي شيء أخذوا يكتبون في تلك الجامعة الاسلامية منذ سنة ١٩٠٨ فقط؟ السبب في هذا هو ما يأتي: المبشرون في روسية عموما ومبشرو مدينة قزان خصوصا يريدون منذ زمان بعيد أن يلعبوا دورا مهما مع المسلمين وأن يحملوا الحكومة على سياسة الهجوم عليهم ولكن لم يبلغوا من مقاصدهم مايريدون . كانوا يلقون الحكومة قبل اعلان الدستور مايجب عليها - على زعمهم - من السياسة المتبعة في حق المسلمين ، ولكن ما كانت تلقيناتهم ومساعيهم في حمل الحكومة على سياسة الهجوم مقبولة في دوائرها في وقت من الاوقات كما كانت في وزارة أسطالبين (١) ، ولما علموا ميل اسطالبين بالسياسة الملية وزعامة قرو بنسكي وبوبرينسكي ومن على شاكلتهما في الحزب الملي في الدوما أيقنوا بأن وقت العمل لتحقيق مقاصدهم قد جاء وأدركوا أن كلامهم ضد المسلمين صار مصدقا في بطرسبورغ مهما كانت درجته من الصحة فلذلك أخذوا يخوفون الحكومة تخويفا منذ سنة ١٩٠٨ بوجود الجامعة الاسلامية ، وأخذ مبشرو قزان يرسلون اللوائح تلو اللوائح الى وزارة الداخلية (عندي صور هذه اللوائح كلها) وقد كتبوا في لوائحهم هذه عن وجود حركة هائلة بين المسلمين ضد حكومة روسية وبينوا ضرورة ووجوب مقاومة هذه الحركة وغيرها مما يماثلها وبعد ذلكم انعقدت جمعية المبشرين في قزان سنة ١٩١٠ وكرروا فيها ما كتبوه في هذه اللوائح . فهم يصيحون بوجود حركة هائلة بيننا ولا يأتون بدليل على دعواهم مطلقا

أيها الافندية ! أرى من الواجب قراءة بعض قرارات هذه الجمعية - جمعية المبشرين المنعقدة في قزان - لنقيس بها لائحة أخرى صادرة من دوائر الحكومة سيأتي بيانها .

(١) اسطالبين رئيس الوزارة الروسية السابق وكان مساعداً لدعاة النصرانية في روسية وقد قتل في الشتاء الماضي رميا بالرصاص في محل التمثيل في مدينة كييف من يد احد الوطنيين الروسيين

واليكم الآن قرارات الجمعية في حقنا (وكان فيها طبعاً كلام وبحث في غير المسلمين ولكن أغلب الابحاث كانت في المسلمين) وهم يدعون أن جميع التدابير والقرارات قد اتخذت لمقاومة الجامعة الاسلامية فلننظر هل هي كما يدعون وهي :

١) طلب إعانة سنوية من خزينة الحكومة لجمعية (سوه توى غوري) وهذا بناء على فقر الجمعية

٢) طلب الاعانة من الحكومة لتربية شعبة مدارس المبشرين في مدينة ويانكه.

٣) طلب تكثير المكاتب الكنيسية بين التتر المكرهين (١) مقاومة للاسلام وطلب إعانة من الحكومة للجان التراجم توزع كما يأتي : للجنة الترجمة في قزان ٥٠٠٠ روبل ولها في سمبر ٣٠٠٠ روبل ولكل من خان صار وأورنبورغ وطابول وطومسكي ١٠٠٠ روبل

٤) تعين المبشرين الكبار في الالوية (المديريات) التي يوجد فيها أقوام من غير الروس .

٥) دعوة أعضاء جمعية المبشرين من الذين يشتغلون في مؤسسات الحكومة وهم ليسوا من الا كليريكيين .

٦) نشر الرسائل المبينة فيها دلائل أساس النصرانية وبراهين على بطلان الاسلام ، وذلك لاجل الروس المتوطنين في ولايات يسا كنهم فيها غيرهم وكذلك لاجل أقوام آخرين .

٧) الرجاء من المأمورين في المقامات العالية محو الامتيازات الممنوحة لبعض العائلات في القريم والقوقاس وبين القزاق .(وهذا أيضا ضد الجامعة الاسلامية ؟؟)

٨) نشر مجلة لمقاومة فكرة الجامعة الاسلامية الموجودة في مطبوعات التتر الحديثة .

٩) نشر جريدة لبيان الافكار الموجودة في المطبوعات الاسلامية في داخل روسية وخارجها .

١٠)الرجاء من السينات (شورى الدولة) طلبا من الحكومة أن توجب طبع

(١) لعله يريد المكرهين على النصرانية في دور الاستبداد

جر ائدومجلات التر اللعتين التترية والروسية (كل هذا ضد الجامعة الاسلامية ??)

١١) فصل المسلمين عن غيرهم وقت الانتخابات حتى لا يكون لهم تأثير في الآخرين .

١٢) تسليم مكاتب المسلمين الموجودة الآن الى نظارة الحكومة .

أيها الافندية ! هذه قرارات الجمعية التبشيرية لمقاومة الجامعة الاسلامية وأود لو أرى نفعا بسؤالهم عن وجود قرار واحد فقط يمكن أن يقال أنه ضد الجامعة الاسلامية ! لا ، ليست هذه القرارات ولا واحد منها ضد الجامعة الاسلامية بل كلها لمقاومة الاسلام نفسه على خط مستقيم .

و كان المبشرون عندما جمعوا جموعهم وأجمعوا امرهم مقتصر ين على البحث في هذه المسألة ولم يلقنوا الحكومة ما ينبغي لها ـ على زعمهم ـ من اتباع السياسة الموافقة لمشربهم في معاملة المسلمين واقتصروا فيما يشيرونه على آرائهم وأفكارهم آمنين مطمئنين لما كان لنا ان نقول كلمة فيهم ولكنهم مع الاسف لا يكتفون بالاشتغال بها وحدها بل هم دائما « لاسيما الآن » يجتهدون بأن يؤثروا في سياسة الحكومة حتى وصلوا في وزارة أسطالبين إلى كثير من مقاصدهم . رأوا من أسطالبين ميله (في غير شؤن الروس) الى ما يرتأونه من اتخاذ الوسائل الشديدة فأرادوا حمله على سياسة الهجوم . ومن جهة ثانية فانهم يعرفون فيه نوعا من علو الجناب . فلو انهم قالوا له « إن المسلمين يعيشون ساكتين مطمئنين » لما دخل أسطالبين في طريق الهجوم ضد المسلمين حتى ولو كان الأئمة يقاومون الدعاة في نشر النصرانية . ولأجل تحميل أسطالبين على اتخاذ التدابير الشديدة ضد المسلمين ارتأوا ان يوهموا الناس وجود تلك الحركة الهائلة بين المسلمين ولذلك أخرجوا بعد تفكير عميق خيالا عظيما وشبحا مجسما باسم الجامعة الاسلامية .

ولما أقنعوا الحكومة بوجود تلك الجامعة بواسطة لوائحهم المرفوعة الى أسطالبين وقراراتهم في الجمعية التبشيرية في قزان وفقوا لحمل الحكومة على عقد جمعية شورية في دائرة الوزارة الداخلية خصيصة بالبحث في التدابير ضد الجامعة الاسلامية ، وأ كثر أعضاء هذه الجمعية من مبشري مدينة قزان موجودو هذه

الفكرة (بيعقوب ألكسي وغيرهم) . وهذه الجمية وجدت تدابير كثيرة ضد هذه الجامعة . ولكن هذه التدابير التي يقال انها لمقاومة الجامعة الاسلامية ليست كما يدعون بل هي لمقاومة الاسلام نفسه ، أذكر لكم الآن الوسائل التي وجدت موافقة لمقاومة الجامعة الاسلامية من طرف المأمورين المـلكيين ، ثم أبين لكم عدم وجود فرق بين قرارات جمية المبشرين و بين وسائل رجال الحكومة ، ليست مشابهة قرارات المبشرين لقرارات رجال الحكومة من حيث المعنى والمآل فقط بل يشبه بعضها بعضا من حيث الالفاظ والعبارات ، وخلاصة الكلام : ان التدابير التي أجمعوا عليها في الجمية التبشيرية لمقاومة الجامعة الاسلامية قد حازت تمام القبول عند المأمورين الملكيين وترأس الجمية الشورية معاون وزير الداخلية « خار وزين » وربما اعترف بما عملوا .

لا أقرأ جميع اللائحة المقدمة لشورى الوزراء في شؤون الجامعة الاسلامية الموقعة من أسطالين وغيره بل أقرأ شيئا منها ، وهو (للخطاب بقية)

مسلمو الصين

يظهر ان الحياة الملية قد تمشت في اعضاء جماعة مسلمي الصين فقد نشرنا في الجزء السابع طائفة من عوائدهم الدينية وحالتهم الاقتصادية

ومما يدلك على هذه الحياة اللائحة التي قدموها للحكومة الجديدة وقد عربناها من جريدة « وقت » التترية المعروفة لقراء المنار بعد ان عربتها بعض الجرائد تعريبا جاء فيه سقط بعض الكلم وتحريف في البعض الآخر وهذه هي اللائحة تحت العنوان الآتي

﴿ مطالب مسلمي الصين ﴾

مسلمو كاشغر يطلبون من حكومة بكين الجديدة ما يأتي :

١ — اطلاق الحرية الدينية التامة وأن تكون شؤون المسلمين الدينية في يد رؤسائهم الدينيين

٢ — أن يكون للمسلمين في العاصمة رئيس ديني باسم « شيخ الاسلام » وان يكون لديه محكمة شرعيـة ووكيل درس « ناظر المدارس » وامين فتوى ودارة أوقاف ، وأن يكون الموظفون الشرعيون من مثل القاضي والمفتي والإمام تحت ادارة شيخ الاسلام وفي يده وحده نصبهم وعزلهم . وشيخ الاسلام نفسه ينتخبه المسلمون . وان ينصب في مراكز الولايات التي يسكن فيها المسلمون حاكم شرعي ينفذ احكام الشريعة الاسلامية

٣ — الموظفون الدينيون للمسلمين لا يكلفون بالخدمة العسكرية وكذلك الطلبة المقيدة اسماؤهم في المدارس الدينية

٤ — المسلمون يكونون أحرارا في بناء المساجد والمدارس والزوايا وغيرها من الاماكن الدينية في أي مكان شاءوا .

٥ — وكذلك يكونون أحرارا في الإعانات للمساجد والمدارس والمكاتب وغيرها من طرق الخير الدينية والملية »

٦ — أن لا تتداخل الحكومة مطلقا في إدارة أوقاف المسلمين وان لا تأخذ شيئاً من الضريبة على أملاك الوقف « كما لا تأخذ من أوقاف الصينيين » وإدارة الاوقاف في بيكين تراعي في تعيدها شروط الواقفين وفقا لاحكام الشريعة .

٧ — أن تكون مساعدة الحكومة لرجال الدين بالمساواة . فاذا عيّنت الحكومة الجديدة للكهنة الصينيين مرتباشهريا تعين مثله من خزينة الدولة لرؤساء الدين المسلمين

٨ — أوامر الحكومة الجديدة في تبديل الالبسة والشكل لا تسري على المسلمين

٩ — لا يمنع المسلمين مانع من السياحة في الممالك الاجنبية . وينبغي أن تفتح القنصليات لحكومة الصين في المدن الكبيرة على طريق الحج حتى يجد الحجاج ذلك سهولة في سفرهم . ويجب حينئذ إبرام معاهدة مع الحكومة العثمانية لتبادل السفراء بين الحكومتين . ولتكن ورقة الجواز للسياحة في الممالك الاجنبية بلا مدة أو لمدة سنة على الاقل « والآن تعطى لستة أشهر فقط »

١٠ — يتساوى المسلمون مع غيرهم في حقوق انتخاب الوكلاء عنهم لمجلس النواب والدوائر الحكومة .

١١ — يكون المسلمون متمتعين بالحرية والمساواة والعدالة كغيرهم سواء بسواء.

١٢ — وكذلك يكونون أحرارا في تأسيس المطابع وافتتاح دور الكتب ونشر الكتب والجرائد والمجلات .

١٣ — كل واحد من المسلمين يحق له أن يشغل منصبا في دوائر الحكومة على نسبة معرفته ومقدرته .

١٤ — مساعدة الحكومة لمكاتب ومدارس المسلمين تكون على نسبة مساعدتها لمكاتب ومدارس ملة الصين

١٥ — والذين يريدون الدخول الى مدارس الحكومة من اولاد المسلمين يقبلون فيها ، وإذا أرسلت الحكومة طلبة الى مكاتب الحكومات الاجنبية ترسل أيضا من المسلمين ، ١٦ ــ حينما تؤخذ العساكر لمحافظة الوطن يكون المسلمون من الجنود على حدة في الاكل والشرب والسكن حتى يمكنهم المعيشة والعبادة على موجب الشريعة ، ١٧ ــ ويكون في أماكن العساكر مساجد ويعين فيها الأئمة ، وأن لا يمنع المسلمين مانع من الرقي الى أي رتبة من الرتب العسكرية ، ١٨ ــ في كل سنة يعطى اذن لعساكر المسلمين مدة شهر رمضان مثلا للرجوع الى وطنهم.

يوجد في الصين ٥٥ مليونا من المسلمين على حساب الحكومة وهم يعدون أنفسهم ٧٠ مليونا . و٤٥ مليونا منهم دونكانيون يتكلمون باللغة الصينية والباقي وهم ١٠ ملايين ينسبون الى قبائل تركية. ومسلمو الصين وقت مراجعتهم حكومتهم يراجعون دائما متحدين وباسم جميع المسلمين في الصين . ومسلمو التركستان الصينية منهم يريدون الاتحاد مع الدونكانيين . لانهم كما قلنا يتفاهمون بلسان الحكومة ويوجد بينهم دور المعارف لذلك هم أرفع شأنا عند الحكومة من الآخرين ، علم (لواء) جمهورية الصين الآن ذو خمسة ألوان إشارة الى خمسة أجناس كبيرة وهي: من فوق الى تحت (١) أحمر للصين الداخلية (٢) اسود للمنشوريين (٣) أبيض للمسلمين (٤) أخضر للتبت (٥) أصفر للمغول .

الشوق للعلم قد كثر بين مسلمي الصين في السنين الاخيرة ولكن يعوزهم الآن الزعماء العاملون في طريق العلم ______

أمة الجاويين (١)

القطر الجاوي مؤلف من جزائر متعددة يحدها من الشمال بحر الصين ومن الجنوب والغرب بحر الهند ومن الشرق المحيط الهادي.

وأكبر هذه الجزائر (بورنيو) ثم (صومطرا) ثم (جاوا) ثم (سيليبس) وحول هذه الجزائر جزائر أخرى أصغر منها ، أما جزيرة (الغوا الجديدة) فلا تعد منها لان سكانها من جنس غير جنس الجاويين وان تكن داخلة تحت سلطان الهولنديين بمقدار ١٤٢ درجة طولا

وكل هذه الجزائر يستعمرها الهولنديون عدا جزء صغير منها تحت حكم الانكليز وهو (رأس ملوك) وشمال (بورنيو) والذي تحت حكم البرتغال الشرق الشمالي من جزيرة (تيمور)

ويبلغ عدد سكان جاوا نحو ٤٠٠٠٠٠٠٠ وهم مختلفون في الاديان والاكثرية داخلة في الاسلام ، ومن المذاهب الشائعة هناك الوثنية والمجوسية والمتدينون بهما لم تبلغهم الدعوة بعد

والجاويون متأخرون في علوم الدين وعلوم الدنيا فقراء في الصناعة ووسائل الارتقاء. ورغبتهم بالعلم ضعيفة ، وربما لايتعلمون أكثر من القراءة والكتابة في لغتهم، وهذا التعلم يجيئهم من طريق الهولنديين، ومما يؤسف له عدم وجود علماء منهم أومن الخارج يعلمونهم أمر دينهم . ولم يقم منهم لتأسيس مدرسة الا واحد نهض أخيرا طلب من حكومة هولندة اذنا بانشاء مدرسة لتعليم الاطفال فأذنت له

ومن أدواء الجاويين عدم اتفاقهم واتحادهم على شيء ، وذلك خلق انتقل اليهم طريق الارث ، وهو الذي كان سببا في دخول هولندا الى جاوا لان كل واحد من أعيانها كان يريد أن يكون رئيسا

(١) تلخيص الامضاء نقلا عن المؤيد

وأنا لا أريد بهذ القول أن أذم جاوا بل أنا منها ومن أبنائها وانما أردت أن أذكر الحقيقة مهما كانت مؤلمة

ومما سررت له أنه يوجد من أبناء وطني في القاهرة ثلاثة شبان يتلقون العلم الشريف في مدرسة دار الدعوة والارشاد وهم ولله الحمد على جانب من النباهة والاجتهاد ورجاؤنا أن يكونوا في الغد ـ بعناية الله ونظر الاستاذ السيد رشيد رضا ناظر المدرسة ـ يداً عاملة على تنوير وطنهم بنور العلم وانقاذه من الضلال

وفي القاهرة غير هؤلاء الاثنون شخصا من أبناء جاوا يتلقون العلم بالازهر الشريف

ومعلوم ان المسيحيين قد تمكنوا تمكنا شديدا من نشر دينهم في بلادنا حتى انهم افتتحوا في كل مدينة وفي كل قرية مدرسة لنشر الدين ، ويخشى مع كثرة استعدادهم وعدم وجود عالم أو مرشد من المسلمين أن يرتد الناس عن دينهم والعياذ بالله ، ودعاة المسيحية هناك يتبعون المسلم حيث وجد فيجلسون الى جانبه في القهوة ويناقشونه في مسائل الدين التي يجهلها بالطبع ولا يجد جوابا عليها لجهله وينتهي الامر باخراجه من دينه وهناك خطر آخر وهو أن فقدان التعليم الديني الاسلامي في بلادنا يجعل الشبان الذين يدخلون التعليم في أوربة جاهلين أمور دينهم فيعودون وقد دخلوا بالبروتستانية أو اعتنقوا الكاثوليكية

والالمان المتخرجون في مدرسة المبشرين البروتستان في مدينة (برمن) الشهيرة يأتون الى بلادنا وينفقون النفقات الطائلة في كل سنة ليجروا المسلمين الى مذهبهم ، والاسلام لا يكسب أحدا من المجوسيين أو الوثنيين لان هؤلاء يتنصرون بعناية الدعاة للنصرانية ولا يسلمون لفقد الدعاة للاسلام

وأنا أختم كلامي ضارعا الى الله ان ينبه المسلمين الى تعضيد دعاتهم ليبثوا أبناء دينهم خصوصا في جاوا من هذه الحالة التي لا تسر المسلم ، ولكل عامل على ذلك اجر وثواب من الله سبحانه وتعالى عبد الواحد بن عبد الله

طالب برواق الجاويين بالازهر الشريف

باب المراسلة والمناظرة

مجلة العالم الاسلامي الفرنسية

﴿ انتقادها مجلة المنار وصحف اسلامية أخرى من جهة ﴾

(ومشروع جماعة الدعوة والارشاد من جهة أخرى)

أرسل الينا أحد أصدقائنا في باريس قطعة من مجلة العالم الاسلامي الفرنسية حملت فيها على الجرائد المذكورة في بداية النقد وخصت المنار بقسط كبير وتناولت مشروع الدعوة والارشاد مع أن المنار لم يبد رأيه في هذه المقالات بعد وهذه ترجمتها:

«هل تتكرم صحيفتنا الغراء « المؤيد والمنار والاتحاد العثماني وصحف اسلامية أخرى أن توضح لنا جنسية وأصل المحرر الاوربي الذي أتى بالاقوال التي عزتها هذه الصحف الى مجلة العالم الاسلامي ؟

« كتبت جريدة المؤيد في ٨ ابريل سنة ١٩١٢ تقول « وان في فرنسة (لجنة Comite) اسمها « الارسالية العلمية المراكشية » مؤلفة من المستشرقين الذين درسوا الكتب الاسلامية والعادات الشرقية واللغة العربية أو غيرها من لغات المسلمين خدمة لجامعات فرنسة السياسية والدينية والاقتصادية . » اه

« ولكن من الخطأ الواضح أن يقال عن الارسالية العلمية المراكشية إنها « لجنة Comité » . واذ كان العلامة مدير المؤيد يتتبع الكتب فلا يصعب عليه أن يقف على أصل ما جاء به (من معنى لفظ اللجنة) خصوصا وان هذه الارسالية العلمية لا تشبه اللجنة بوجه من الوجوه . وليس من الصواب أن يقال : ان لها مقاصد سياسية أو دينية أو اقتصادية . وكل ما في الامر أن عملها نتيجة مساعي بعض الخاصة وترجم هذه

المساعي الى سنة ١٨٨٩ ــ ١٨٩٠ . وقد أعطيت الارسالية منذ ذلك الحين مبلغا صغيرا من المال لادارة شؤونها . أما الآراء التي تنشرها هذه الارسالية فهي خاصة بها ولا شأن للحكومة فيها . وعلى هذا فان ما قاله جريدة المؤيد بهذا الشأن مخالف للواقع

« وتقول جريدة المؤيد : « ان هذه « اللجنة » أخذت قبل خمس سنوات تنشر في باريس مجلة كبرى مصورة تصدر في كل شهر اسمها « مجلة العالم الاسلامي » ولقد كانت هذه المجلة قبل الآن ظاهرة عظيرعلى تكون الغايات السياسية فيها بالدرجة الثانية الى ان تم لفرنسة احتلال مراكش أولا ثم دخلت فارس في طورها الاخير وحل بعد ذلك ما حل بطرابلس . فظهرت هذه المجلة كغيرها بمظهرها الحقيقي الذي تكون فيه الدروس العلمية واسطة لغايات سياسية ودينية » اه

« وقد حذت مجلة المنار الدينية التي تصدر في مصر حذو جريدة المؤيد فقالت في الصفحة ٢٥٩ من المجلد الخامس عشر ما يأتي « وبعد احتلال مراكش ودخول بلاد فارس تحت النفوذ الروسي الانكليزي واعتداء ايطالية على طرابلس الغرب ظهرت ــ أي مجلة العالم الاسلامي ــ بمظهر جديد تحلت به خطتها من التوسل بالعلم الى المقاصد السياسية والدينية » اه

« والقول ان لمجلة العالم الاسلامي غاية دينية من شأنه أن يبعث السرور والفرح في قلوب قرائها الاوربيين الذين لا يدركون وجود هذه الغاية الا بتفسير وتأويل

« اهتمت جريدة المؤيد ومجلة المنار وغيرها اهتماما زائدا بعدد مجلتنا الذي صدر في نوفمبر الماضي خاصا بموضوع الغارة على العالم الاسلامي وقامت بترجمة فصوله مستمرة على ذلك ، خصوصا المؤيد الذي يصدر بها أعداده بعناية تستوجب اعجابنا واحترامنا فليتكرم بقبول شكر المجلة له على ذلك

« ولكن المؤيد لم يشأ ان يختم ترجمته المنشورة في عدد ٨ ابريل بدون تبرم إذ قال في آخرها : « ان المقاصد تتبين مع انكشاف الحوادث »

« ان نشر ترجمة هذه المقالات قد بعث لاول مرة الدهشة في قلوب الجميع ، كما يتضح مما قالته جريدة الاتحاد العثماني وهي جريدة هامة تنشر في بيروت

تحت رعاية جمعية الاتحاد والترقي(١) وذلك أن بعض (كتبة) الصحف العربية انتقاد بلهجة شديدة على ترجمة مقالات الغارة على العالم الاسلامي حيث قال: إن من الغبن نشر كلمة «الغارة» على صفحات جريدة اسلامية، فردت عليه جريدة الاتحاد العثماني قائلة: «انا رأينا السكوت عن نشر هذه المقالة غشا لا يجيزه لنا الدين ولا الوطنية بوجه من الوجوه، فاشفاقا على عواطف القراء الذين ما اعتادوا حتى اليوم سماع أمثال هذه النفثات المدهشة رأينا أن يكون نشرها مدعاة لتفكر عقلاء المسلمين وتدبرهم في ملافاة هذا الخطر المحدق بهم وأن لا يكون حظ هذا الفصل الاغفال والاستهانة بل القيام بما يأمر به الدين من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وعدم وضع أبناء المسلمين في المدارس الاجنبية الا بعد أن يتمكنوا من دينهم ولغتهم ووطنيتهم.» ومجلة المنار نشرت مقالات الغارة على العالم الاسلامي بالعنوان الذي وضعه المؤيد

«وفي ٢٦ ابريل عاد المؤيد الى التعليق على هذه المقالات متأثرا باستياء القراء من نشرها. وهذا ملخص الانتقادات والايضاحات الواردة في مقالة المؤيد يوم ٢٦ ابريل:

١ ـ ان بعض المسلمين يعد نشر هذه المقالات من قبل الموافقة على ما جاء فيها

٢ ـ والجواب على هذا القول انه من قبيل وضع الشيء في غير محله، لان المؤيد لم يبدأ بنشر هذه المقالات مهد لها بتوطئة أبان فيها عن قصده من نشرها، وذكر لقرائه شيئا عن المجلة التي كتبت تلك المقالات والجمعية التي تنشر المجلة نسبا وحاليهما قبل حوادث مراكش وفارس وطرابلس الغرب وبعدها.

٣ ـ ليست هذه المقالات من المباحث العلمية أو الجدلية التي تقتضي ردا ومناقشة بل هي تأريخ وأنباء، وكما نظن أنها ستدفع أهل الغيرة لزيارة مدرسة (دار الدعوة والارشاد) التي منها المصري والمراكشي والجاوي والقفقاسي» اه

«وهنا نكرر القول بأن اسناد غاية سياسية أو اقتصادية أو دينية الى مجلة العالم الاسلامي هو أمر وهمي تماما وبعيد عن الصواب بعد الارسالية العلمية المراكشية من شكل لجنة Comité

(١) هذا حكم من المجلة بدون تثبت فان هذه الجريدة لا علاقة لها بالجمعية ولم تكن لها علاقة بها

«أما استنتاج المؤيد والمنار والاتحاد العثماني مما هو متعلق بإقالة عثرة الاسلام فهو مهم في بابه ، وكنا نحب أن نقول « ان هذه الاستنتاجات جاءت في أوانها لولا أن (سبق السيف العذل) ذ أن العالم الاسلامي ليس مهددا بالهزيمة والفتح تهديدا بل قد أغير عليه وافتتح ... وأصبح مغلوبا على أمره وتلك نتيجة غلطات وهفوات الذين تولوا مهمة انقاذه فتدهوروا به في هاوية الهلاك وأسلموه في سنة ونوم .

***

«كانت مكانة الخلافة الاسلامية مشرفة على السقوط في كل الجهات ، ثم حدث الانقلاب العثماني فخيل الى الناس أن الخلافة قد عاد اليها سابق عزها بعد استظهار الحرية على الحكومة الحميدية . وكان في استطاعة المسلمين يومئذ أن يبذلوا جهدهم لاحياء حضارة اسلامية مستقلة ، وقد كانت أوربة الحرة في ذلك الحين تشد أزرهم . ولكن الذين أنقذوا الدولة العثمانية من ربقة الاستبداد وهتفوا بمبدإ المساواة هم الذين ارهقوا الولايات بعد ذلك عسرا باستبدادهم الذي فاقوا فيه الاستبداد الحميدي . فصبت المشانق في دمشق وسفكت الدماء في آسية الصغرى واندلع لهيب الثورات في ألبانية . وبموجب سنة السكون التي تربط الاسباب بمسبباتها سلخت النمسة ولايتي البوسنة والهرسك من السلطنة في مقابل ٥٣ مليونا من الفرنكات ولم يبق سوى أن نعرف من الذي تناول هذه المبالغ . وفي سنة ١٩١١ أنجزت اركان حرب النمسة خريطة بلاد الارناؤط .

«ثم حدث بعد ذلك اغارة ايطالية على طرابلس الغرب فلم تلق فيها مقاومة ولم تسفر هذه الحادثة الا عن طلب الاعانة في الصحف وتبعها حادث استيلاء الايطاليين أيضا على جزر الارخبيل وتقسيم الاملاك العثمانية في اوربة . والظاهر أن الجيش العثماني المنظم والقوي أصبح ولا وظيفة له الا المباهاة بشكله بدون أن يعمل عملا ، وهو من هذه الوجهة مثل سفن الاسطول العثماني التي اشتريت بأثمان باهظة لكي تكون ساكنة غير متحركة .

«وتركت أوربة هذه الحوادث تجري على مرأى من العرب والترك والارناؤط

والروم والاكراد والسوريين وكل هؤلاء يميلون الى الحكم الاجنبي أكثر مما يميلون الى الاتفاق والائتلاف . وليس بين المشتغلين بالسياسة اليوم من العرب والاترك من يجهل الاستعدادات العامة التي تجري لاجل التقسيم النهائي

« وليس بين الدول الاوربية العظمى غير الدولة الفرنسية من أبتعد عن هذا التقسيم ، لان فرنسة لا ترغب أن يكون لها حظ في ذلك ، وهي قد لاتحصل على شيء في المستقبل من هذا التراث

« أما الدول الاخرى فدائبة في المساومة والتدقيق في الحساب ، وهذا الامر غير مجهول البتة . وأما الامل ببقاء الدولة العثمانية فتوقف على اتفاق عناصرها . ولا نرى بين اصدقاء الاسلام من يقوم فيرفع صوته محذرا من الخطر الا وتقوم الجريدة العربية الكبرى في القاهرة والجريدة السورية ومجلة العلماء الدينية فيقلن : « يا للفظاعة ! » فأين هي الفظاعة ؟ هل هي في التحذير والتنبيه أم في العناد والاصرار على ترك التفكير ؟

« ثم الآن من هم المدافعون المتقيقون عن الحضارة الاسلامية ؟ هل هم هؤلاء الفقهاء كالمراكشيين والطرابلسيين الذين يلقون بايديهم الى التهلكة لاجل بعض باشوات وقواد فاسدين ومرتشين ومشايخ ملئت بطونهم ؟ أم هم نخبة المتعلمين في الجزائر وتونس والقطر المصري وسورية وتركية وفارس المنكودة الحظ والبلاد الهندية وجزائر السند ــ الذين هم في مصاف الاوربيين محترمو الافكار والنزعات ؟

« في يوم ٢٨ ابريل الماضي قام كاظم بك والي سلانيك يومئذ فتكلم في أمر الحركة السياسية التي تتمخض بها الآن الجيوش العثمانية في الولايات المقدونية وأتى خطيبا رنانا بين جدران مسجد القاسمية بعد صلاة الجمعة فأتى ببيان القوات الاسلامية في الصين والهند وافغانستان وتركستان وطرابلس الغرب ومراكش وبحث في أسباب الفشل الذي لحق بها . ثم ختم خطابه بشرح برنامج إسلامي سياسي أوسع من برنامج جمعية الاتحاد والترقي ويختلف عنه بحض فيه على توسيع التعليم والتربية في العنصر العربي المسلم . فهل كانت غاية كاظم بك دينية أو اقتصادية ؟

« انكرت جريدة المؤيد ومجلة المنار وجريدة الاتحاد العثماني على مجلة العالم الاسلامي انها بينت للمسلمين كيف تتبادل القوات الاوربية المختلفة لاستدراج الشعوب الاسلامية وادخالها في طرق اخلاقية واجتماعية وسياسية جديدة . ولو كانت هذه الصحف مدركة سير الامور التي لا مبدل لها لشكرت لمجلتنا صنيعها هذا ولما قالت . « لترجع الى التعليم العربي القديم مكتفين بتغييره تغييرا سطحيا » بل كانت تقول : « لنفتح مدرسة الغد التي هي الكفيلة بخلاصنا المؤسسة على حضارة اسلامية عصرية . »

« والآن قد وصلنا الى النقطة التي تتميز بها آراؤنا عن آراء زملائنا العرب . أولئك مقاصدهم مقتصرة على توطيد استقلال الاسلام والمحافظة له ، مع التأكد من عدم الحصول على هذا الاستقلال بل مع التأكد من فقده . ونحن نود أن نرهم وطدوا أركان هذا الاستقلال بانتهاج طرق الرقي والفلاح المفتوحة أمام مستقبل الاسلام ولكنهم يضمون الجامعة الشيهة بالقديمة التي أسسها السيد رشيد رضا في مستوى الجامعة المصرية التي يدير شؤونها البرنس فؤاد باشا . انهم لو أعملوا الفكرة والروية لمعرفة الصعاب الحقيقية التي تعترض رسوخ قدم الانكليز في مصر لاتضح لهم – وهم في القاهرة – أنها ليست منوطة بالوطنية الدينية أو الوطنية السياسية بل بالنهضة الاجتماعية الكاملة . ولا يمكن للمصري المسلم أن يخرج من تحت السلطة البريطانية بتوطيد أركان دينه بل بانهاض الفرد المسلم المستنير الى مستوى الفرد المسيحي المنور

وبعد فاذا كان يدور في خلد المؤيد والمنار والاتحاد العثماني أن يتلافوا الغارة التي شنت على العالم الاسلامي فالطريقة سهلة السلوك ، وهي أن يقولوا لقرائهم : « لنخرج من عزلتنا . ولنقابل الحقيقة الواقعية وجها لوجه »

المنار . موعدنا الجزء الآتي للرد على ما جاء في مقال مجلة العالم الاسلامي

التقاريظ (*)

﴿ انتقاد تاريخ التمدن الاسلامي ﴾

(وآداب اللغة العربية)

نشر العالم الفاضل شمس العلماء الشيخ شبلي النعماني رئيس جمعية ندوة العلماء هذا الانتقاد بكتاب خاص ونشر جميعه في مجلة المنار وقد تم طبعه على حدة ، ثم كتب الاستاذ العالم المحقق الشيخ احمد عمر الاسكندري انتقادا على الجزء الثاني من كتاب تاريخ آداب اللغة العربية لجرجي افندي زيدان ورأينا في مجلة المشرق انتقادا آخر لهذا الجزء أيضا للاستاذ الاب لويس شيخو اليسوعي فرأينا تذييل انتقاد الشيخ النعماني بهذين الانتقادين وسيصدر الكتاب في أثناء شهر شوال المقبل ان شاء الله تعالى واليكما كتبه صاحب ومنشئ المنار مقدمة لانتقاد الشيخ شبلي النعماني وهو :

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وقال رب احكم بالحق ، وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون ﴾

أما بعد فان علماء الافرنج قد سبقونا الى وضع تاريخ سلفنا في القالب العلمي الحديث ثم حذا حذوهم رصيفنا الفاضل جرجي افندي زيدان بكتابه الذي سماه (تاريخ التمدن الاسلامي) فشكر له عمله هذا المسلمون عربهم وعجمهم باقبالهم عليه وترجمتهم الى عدة لغات وثنائهم عليه . ولكن الرجل أقدم على هذا الامر ولم يعدله قل عدته ، ولا أخذ له جميع أهبته ، لما رأى مجال القول واسعا ، وميدان الكتابة

(*) يكتب هذا الباب السيد صالح مخلص رضا في هذا الجزء

واسعا ، وكلاهما خال من فرسان الكلام ، حمله اسلات الأقلام ، وظن أنه يكفيه من الاستعداد لذلك اقتباس أسلوب لافرنج فيه ومراجعة كتبهم العربية الجامعة لمادته ، ككتب الدين والادب ، والتاريخ والنسب ، وان كان لم يأخذ هذه العلوم عن أهلها ، ولا عرف فرعها ولا أصلها ، ولعله لم يقرأ شيئا من كتبها قراءة دراسة وبحث ، الا بعض كتب التاريخ المدونة ، لانه لما لم يكن مسلما لم يترب في مدرسة تقرأ فيها العلوم الاسلامية لم يكن له باعث على تحصيل هذه العلوم ، وإنما رأى نفسه محتاجا الى مراجعة كتبها ، عند ما قام في نفسه الباعث للتأليف فيها ، ومن كان هذا شأنه لا يتسنى له فهم ما يراجعه من المسائل حق الفهم ، وقد قال الفقهاء: ان نقل المخالف في المذهب لايعتد به لان الفقه ـ وان كان فنا واحدا ـ تختلف اصطلاحات المذاهب وأصولها فيه ، وطرق الترجيح والتصحيح لمذاهبه ، فمن يراجع عند الحاجة كتبا في غير مذهبه الذي تلقاه بالمدارسة لا يوثق بفهمه لما يراجعه فيه ، وكثيرا ما يعثر بغير الصحيح المعتمد عند أهله منه ، وإذا كان الامر كذلك في نقل فقيه مقلد لبعض المسائل من مذهب آخر فأجدر بالحذف في أصل الذي ينظر اليه في غير مرآته ، والذي لم يتدارس شيئا من علومه ، ان لا يعتد بفهمه ، ولا يوثق بنقله ، مهما كان متحريا للحق ، صدوقا في النقل ، ينقل ما ينقله بالحرف ، فاذا كان ينقل بالمعنى كما هو دأب صاحب تاريخ التمدن في الغالب فان خطأه يكون أكثر

كنت كلما نشر جزء من أجزاء هذا التاريخ انظر في بعض صفحاته فأرى فيها خطأ وغلطا في النقل والرأي ويظهر ان سببه ماشرحته آنفا ، أو جعل الواقعة الجزئية قضية كلية وقاعدة عامة ، وقد نبهت على ذلك في (المنار) غير مرة واقترحت على أهل الفراغ من أهل التاريخ ان يطالعوا الكتاب كله ، وينتقدوه انتقادا عادلا ، ويبينوا اغلاطه وخطأه في المسائل الاسلامية ، وهضمه للامة العربية ، لعل المصنف يصحح ويصلح مايظهر له من الصواب ، ويبين عذره في غيره فيتحرر الكتاب ، لانه كثيرا مايطلب الكتاب بالانتقاد ـ واعتذرت عن نفسي اذ لم تقم بهذا العمل بكثرة الشواغل التي يضيق بها وقتي ،

ولما عرض المصنف تاريخه هذا على نظارة المعارف العمومية لتقرره في مدارسها عهدت الى بعض اصدقائي من أساتذة مدارسها العالية بالنظر فيه و بيان رأيهم فيه لها ، فطالعوه وبينوا للنظارة انه لا يصلح للتدريس لكثرة أغلاطه المعنوية واللفظية ، وتمنيت يومئذ لو كانوا أحصوا ماظهر لهم من ذلك الغلط ونشروه واقترحت ذلك على بعضهم فما أفاد الاقتراح ، واذا لم يتيسر تنقيح الكتاب

وقد انتقد بعض الناظرين الكتاب في المؤيد ، ورموا مؤلفه بسوء النية ، وتعمد التحريف ، وفساد الاستنباط ، ورأوا ان سبب ذلك هو التعصب الديني والنظر الى تاريخ الاسلام وآدابه بعين السخط . وكنت مخالفا لهم في هذا الرأي ، وجاهرت بالرد عليهم فيه ، على علمي بأنه لا يعقل ان ينظر أحد الى دين لا يدين الله به بعين الرضا التي يراه بها أهله ، لانني لا أرمي أحداً بسوء النية ، الا ببينة وحجة قوية ،

ثم جاءني في فاتحة هذا العام ورقات مطبوعة من مصنف جديد في الانتقاد على هذا التاريخ لعالم شهير من علماء الهند ، بعثه جرجي افندي زيدان صديقا له ، وهو شمس العلماء الشيخ شبلي النعماني رئيس جمعية ندوة العلماء ، وجاءني معه كتاب من مؤلفه يرغب الي فيه أن انشر هذا الانتقاد في المنار ليعم نفعه . وهذا الكتاب هو الذي دعاني فيه أول مرة الى مؤتمر ندوة العلماء ، ورياسة احتفاله السنوي في هذا العام ، ولما رجحت اجابة الدعوة صار لنشر هذا الانتقاد في المنار ثلاث دواع : فائدة الانتقاد في نفسه ، واجابة اقتراح كاتبه لعلمه وفضله ، والحاجة الى مادة المنار في مدة سفري غير ما أكتبه من التفسير وغيره ، اذ لا يتيسر لي أن أكتب في السفر كل ما يحتاج اليه من المواد

اذنت بنشر الانتقاد في المنار وسافرت بعد الشروع فيه ، ولم أكن أعلم بكل ما جاء فيه من الانحاء الشديد من المنتقد على مؤلف تاريخ التمدن الاسلامي ورميه بالتحريف والكذب في النقل ، واتهامه بسوء النية والقصد ، ولم اكن أتصور منه كل هذه الشدة في التهمة ، وابرازها في اقبح صورة ، لعلمي بما بينهما من المودة

الأدبية ، والصحبة القلبية ، ولو علمت بذلك لاستأذنت المنتقد في حذف تلك الألقاب ، والتلطف في هاتيك العبارات ، ولما لقيته في الهند وكنت قد قرأت بعض ما نشر من الانتقاد راجعته القول في سبب هذه الشدة فعلمت ان سببها الانفعال والتألم من مؤلف تاريخ التمدن الاسلامي لاعتقاده أنه تعمد التحريف والكذب لأجل تحقير العرب . . وسبب هذا الاعتقاد أن ذلك الخطأ الكبير ، والغلط المفاحش إما ان يكون عن جهل، أو عن سوء قصد، والمنتقد يستبعد جدا ان يكون عن جهل فترجح او تعين عنده انه عن سوء قصد ، هذا ما علمناه منه ، وقد أطلعني على كتاب جاءه من جرجي افندي زيدان يقول فيه أنه رأى الانتقاد على كتاب تاريخ التمدن الاسلامي منشورا في المنار معزوا الى صديقه الشيخ شبلي النعماني فلم يصدق انه له.. ولم يشأ أن يتنازل عن صحبة عشرين سنة قبل التثبت بسؤاله عنه ، وطلب منه ان ينكر عزوه اليه ، ولكن لاستاذنا بعثه بشيء ، بعلم ان السكوت اقرار ، وأن الكذب والتزوير لا يدنوان من مجلة المنار ، وقد علم من هذا ان رصيفنا الفاضل صاحب الهلال الاغر قد اساء الظن بنا ولا شبهة ، بمقدار ما أحسنا الظن فيه على كثرة الشبه ،

وأنني مع هذا اشهد الله والناس اني اجد في نفسي ألما من هذا الانتقاد في المنار ، من حيث نبذ الرصيف فيه بتلك الالقاب ، ثم من نشره كذلك في كتاب على حدته ، باذن المؤلف وإجازته ، ولكن الدواعي توفرت والبواعث قد قضت بهذا النشر

هذا وانا نرجو ان يكون لظهور هذا الانتقاد في هذه الايام فائدة وراء فائدة تمحيص التاريخ وحمل صاحب تاريخ التمدن الاسلامي على التروي والتدقيق فيما يكتبه بعد في تاريخ الاسلام ، تلك الفائدة المرجوة هي أن يترجم هذا الانتقاد باللغة التركية كما ترجم التاريخ المنتقد فيكبح من جماح دعاة العصبية التركية الذين استعانوا بنشر ترجمته بلغتهم على تحقير العرب وانتقاص مدنيتهم ، وغمط حضارتهم ، وتفضيل الاعاجم عليهم ، فكادوا يولدون بذم العرب عصبية عربية ، بازاء ما رفعوا قواعده من العصبية التركية ، ولو كانوا يقسمون الجنسية الاسلامية الى عدة جنسيات ،

من غير ذلك ومادام تنجم العصبيات ، وتفرق بين الاخوة والاخوات ، ولان الامر ، وقل الحمر ، ولكنهم سفكوا بها دماء الالوف الكثيرة ، وأضاعوا بذلك القناطير المقنطرة من أموال الدولة ، ولا يعلم أحد الا الله الى أين تنتهي عاقبتها ، اذا لم يوفق رجال الدولة الى تلافي أمرها

ثم المرجو من المطلع على هذا الانتقاد أن يجعل حظه منه تحرير المسائل التاريخية دون الالتفات الى مقاصد الكاتبين ، ونيات المصيبين والمخطئين ، (فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، أولئك الذين هداهم الله ، وأولئك هم أولو الالباب) محمد رشيد رضا

***

﴿ تعليل النوع ﴾

« مؤلف » يشرح نظرية تعليل النوع الجديدة المبنية على المشاهدات العملية مع ايضاح الطريقة المؤدية لمعرفة نوع الطفل في بطن أمه وقبل ولادته و بيان الحصول على النوع المرغوب فيه من ذكر أو أنثى

تأليف رملي دوسون وتعريب الدكتور محمد عبد الحميد طبيب مستشفى قليوب ، صفحاته ٢٦٤ صفحة وهو مطبوع على ورق جيد طبعا حسنا وثمنه ٢٠ قرشا و يطلب من المعرب بقليوب ومن مكتبة المنار بشارع عبد العزيز

كثرت هدايا الدكتور محمد عبد الحميد العلمية لقته وأمته وآخرها هذا الكتاب الذي عربه ارضاء للعلم وخدمة للبيوت (العائلات) بادخال العلم اليها بطريقة مرغبة ومشوقة

موضوع الكتاب

أما موضوع الكتاب فهو البحث في امكان معرفة نوع الطفل وهو جنين في بطن أمه أذكرا هو أم أنثى ، ولا يقول المؤلف بامكان الوصول الى ذلك بقرع الحصى والودع والقول أو بالتخطيط في الرمل ، بل انه بنى تحقيق نظريته هذه على مشاهدات وتجارب وحساب لأوقات الحيض والولادة والحمل ووضع لذلك جدولا في آخر الكتاب

ولم ينس المؤلف خطارة الموضوع ولكنه التمس من القارئ ان يؤجل الحكم عليه وفيه حتى يتم مطالعة الكتاب بالدقة فيصل الى النتيجة التي وصل هو اليها ، وقال بأن هذه المسألة وصفت بأنها تكاد تكون من عالم الغيب ولا يمكن حلها .

وذكر ان أشياء كثيرة ونظريات جمة كانت تعد من عالم الغيب فحل رموزها العلم ، وضرب لذلك مثلا تلغراف ماركوني واشعة الراديوم والمراكب التي تسير تحت الماء الى غير ذلك مما يحاول العلماء حله في المستقبل كمسألة اكتشاف القطبين ورقية عن الطيارات ثم قال ما معناه: وحل هذه الاشياء هي مما يشجع على اقتحام مثل هذه العقبة عقبة تمليل النوع ويمهد له العذر باصدار هذا الكتاب الذي ادعى انه اكتشف به سرا من أسرار الطبيعة

وذكر ان نظريته هذه مبنية على حقائق ومشاهدات وأنها بذلك مست عن نظرية الاستاذ شنك (الذي كان كتب فيما قبله وجهله الناس وقتئذ)

توسع المؤلف في الفصول الاولى من كتابه في مسائل علمية فكان الكتاب وسيلة لتعليم الناس شيئا من العلم لأن كتابه كتاب ترغب فيه البيوت (العائلات) وقد عقب كل بحث علمي من هذه الفصول بما يؤيد نظريته

وخلاصة البحث ان المولود اذا تخلق من بويضة متكونة في الجانب الايمن من الرحم (المبيض الايمن) فهو ذكر وان تخلق من بويضة متكونة في الجانب الايسر من الرحم (المبيض الايسر) فهو أنثى ووطأ السبيل الى هذه المعرفة معرفة أي مبيضي الرحم كون البيوضة ، واذا سهل ذلك واتضحت معرفته فقد امكن التحكم بنوع الطفل ، أي أمكن ان يلد الزوجان ذكرا أو أنثى على حسب ما يرغبان

وسواء أصحت أدلة المؤلف في تحقيق هذه النظرية أم لم تصح فاني أقول ان هذا الكتاب من انفس الكتب في موضوعه فهو مرتب على اقيسة وتجارب علمية ولا يستبعد ان تتحقق نظريته هذه بارتقاء العلم بأن تخترع أشعة من قبيل أشعة رنتجن او ان ترقى هي بحيث تمكن بواسطتها رؤية تكون البويضة وتخلق الجنين ويكون من ورائها بعض الفوائد لبعض الناس

هذا وان المؤلف اوضح مسائل جاءت مؤيدة للدين منها ان من المعروف عند

الملبس ان الانسان من نسل أبيه وان الام مجرد وعاء « واذ اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم » ومن هذا تسمية الام مزدوعا والنسل حرثا أو زرعا مع قول العلماء بان المولود انما هو من الأم واما الحيوان المنوي ليس إلا كوقط البويضة الناضجة، وكانوا يقولون بأن حيوانا منويا واحدا يحصل به القاح ولا يحتاج لغيره، وقد اثبت الدكتور بني روسون ان البويضة ذات ثقوب كثيرة في غشائها الخارجي لدخول حيوانات منوية كثيرة لتعطي البيوضة الحياة الطويلة المستمرة القدرة على التخلق وان البيوضة بعد ان تنضج لا تطول حياتها بدون هذه الحيوانات وهي التي تحمل للبيوضة جميع صفات الأب وكلما زاد عدد هذه الحيوانات كلما كثر شبه المولود بوالده، والذي يتجلى من هذا ان الحيوان المنوي هو الاصل للمولود كما ان الاصل للشجرة انما هو البذرة تلقى في الارض حاملة صفات وخواص الشجرة الاولى ولا بد من تأثير الارض بعناصرها في تكميل نوعية تلك الشجرة وتغذيتها لذلك يقولون : ان نوع كذا من النبات يجود في ارض كذا ونوع كذا على العكس

وعليه فان ما يأخذه المولود من امه هو بمثابة ما يأخذه من الاغذية بعد الولادة (راجع ص ٣٩ و ٤٦ من هذا الكتاب) لتكميل بناء الجسم وتجديد ما يندثر من دقائقه

ولكن من المعلوم ان للانسان جوهرا اصليا لا يتغير ولا يتبدل وذلك هو الروح واجزاء الجسم الثابتة وهناك دقائق تتبدل وتتحول وتتجدد ومع ملاحظة ان البيوضة لا حياة لها طويلة بذاتها وانما تستمد الحياة الدائمة من تلك الحيوانات المنوية فقد صح نسبة المولود لأبيه وانه احق به من جهة النسب والعصبية والذكر وسائر الاشياء المعنوية الثابتة . ولكن حق الام لا ينكر الولد من والديه قطعا شرعا وعلما

ايراداتي

ربما قال قائل : اذا امكن معرفة نوع الجنين في بطن أمه فما معنى قوله تعالى « ان الله عنده علم الساعة ــ الى قوله ــ ويعلم ما في الارحام » وقد تناقل الناس ان هذه الاشياء الخمسة المذكورة في هذه الآية استأثر الله تعالى بعلمه

واذا امكن ان يتحكم الوالدان بنوع المولود من جهة الذكورة ولانوثة . فما معنى قوله تعالى « يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور » ومن المعلوم ان الهبة انما هي العطاء بدون مقابل وليست هذه الهبة بمطلق العطاء بل هي تناول اعطاء مقيداً بنعمة الذكورة أو محنة الانوثة بدليل السياق . فنقول

رد الايراد الاول

إن قوله تعالى « ويعلم ما في الارحام » لا يفيد الاختصاص ولا الحصر ومطلق العلم لا يمنع ان يعلم احد غيره تعالى ذكورة أو انوثة المولود بطريق من الطرق العلمية أو الحسابية وقد ورد لفظ « يعلم » في القرآن أكثر من ستين مرة ولم يقل احد ان مجرد الفعل المضارع يفيد الحصر أو الاختصاص

وأما قوله تعالى في أول الآية « إن الله عنده علم الساعة » فانه يفيد الحصر بتقديم اسم الجلالة وبناء الخبر عليه ، ـ وتقديم الظرف يفيد الاختصاص قطعا ـ فلا مرية بانحصار علم الساعة به تعالى واختصاصه بذلك وقوله « وينزل الغيث » معطوف على جملة « ان الله عنده علم الساعة » الخ فهو اخبار بانه تعالى انحصر فيه علم الساعة واختص هو به فلا مطمع لسائل ان يعلم وقتها وهو تعالى ينزل الغيث « ويعلم ما في الارحام » علما كاملاً ، فان قلت بعطف الجملتين على الجملة الظرفية المبنية على الاسم الجليل وسلطت الاختصاص على علم تنزيل المطر بأن يكون من حيث دلالة المقدور والحكم المتقن على علم الغيب ، فعلمه تعالى ما في الارحام يختص تعالى به من حيث العلم التام الكامل وأما كون الجنين ذكرًا أم أنثى فلا مانع من أن يطلع الله عليه أحد مخلوقاته . بطريقة من الطرق وقد ورد في بعض الاحاديث ان الملك الموكل بالرحم يعلم الذكورة والانوثة

ولولا ما ورد من الآثار بأن هذه الخمسة مما استأثر الله تعالى بعلمه لما تكلف المفسرون تعب تطبيق القواعد على جمل جميعها مما لا يمكن لاحد ان يطلعه الله على شيء منها ولكان لقائل يريد ان يفهم الآية من الالفاظ العربية أن يقول : ان سياق الآيات ليس لافادة اختصاصه تعالى بعلم هذه الاشياء لان الآية سبقها قوله تعالى « يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزى والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور »

من الآية التي نحن بصددها ، وقد جرت عادة الذكر الحكيم أن يذكر مبدأ خلق للانسان في سياق الاستدلال على بعثه ليلفت السامع بان الذي خلق قادر على البعث خلق من ذلك قوله تعالى « يا أيها الناس ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من ذكر وانثى » وقوله « وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم ، قد يحييها الذي انشأها أول مرة » الخ وغير ذلك كثير

هذا واذا كان لمخلوق بما أعطاه الله من العلم ان ينزل من المطر في وقت من الاوقات أو في مكان من الامكنة فهل يقال . ان فلانا ينزل الغيث المعهود ؟ وكذلك ان وصل أحد بعلمه وتجاربه الى معرفة وقت نزول المطر فان علم هذا المخلوق انما يفيد الظن ولا يكون من العلم الذي اختص الله تعالى به ومثل ذلك يقال في معرفة نوع الجنين هذا اذا كانت المعطوفات على الجملة الظرفية في قوله تعالى « ان الله عنده علم الساعة » فان المعرفة به لا تكون تامة ثابتة ومضارعة لمعرفة موجد عناصر الطفل وخالقه تبارك وتعالى الذي لا يخفى عليه ولا يعزب علمه شيء

ثم اذا انت نظرت في قوله تعالى « وان تعجب فعجب قولهم أئذا كنا ترابا وعظاما أئنا لفي خلق جديد - الى قوله - الله يعلم ما تحمل كل انثى وما تغيض الارحام وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار » تزداد تأكيدا من أن الذكر الحكيم يورد مثل هذه الآيات لا لافادة أصل العلم أو انحصاره بل ليلفت الانسان الى عظيم قدرته وباهر حكمته وان من هذا شأنه في بداية الخلق لا يعجزه البعث

رد الايراد الثاني

قوله تعالى « لله ما في السموات والارض يهب لمن يشاء اناثا ولمن يشاء الذكور » اذا صحت نظرية معرفة البويضة الناضجة المستعدة للقاح وبيضها تهيأ للعارف بذلك التحكم بنوع الطفل وعلى فرض صحة النظريتين فلا يمنع تعمد ايلاد الاجنة ذكرانا واناثا ان تكون موهوبة من الله لان الوالد لم يكن له من ايجاد المولود شيء وانما هو اختار الوقت المناسب لتوليد الذكر أو الانثى واذا كان الامر كذلك فان ضمير يشاء يرجع الى الموصول « من » في قوله تعالى « يهب لمن يشاء » الخ

أرأيت لو كان زارع يعلم الاوقات المناسبة لاخراج المزروعات فزرع الملوخية في الوقت المناسب لنموها ايكون موجدا لها ؟ كلا :

على أن ما أورده المؤلف لاثبات هذه النظرية لايفيد الحكم اليقيني بتعيين نوع الطفل للاسباب الآتية :—

(١) ان من النساء من لم تحض قط وقد ولدت عدة أولاد ذكورا وإناثا

(٢) اذا كانت الانثى بكرا وحملت لاول مرة فلا يمكن معرفة جنينها بهذه الطريقة كما لايخفى فلا يمكن ايلادها ماترغب هي أو زوجها

(٣) ان مدة الحمل والحيض مختلفة اختلافا كبيرا في النساء وعليه فاحراء نوع الطفل غير متيسر للحساب الذي أورده المؤلف

(٤) اذا كان أحد المبيضين مريضا فانه لا يكون بويضات صحيحة الا نادرا فلا يطرد الحكم على نوع الجنين دائما

(٥) في الحيوانات التي لاتحيض لا يمكن معرفة نوع أجنتها وكلام القرآن عام في الانسان والحيوان

(٦) الطيور ليس لها الا مبيض واحد وفي بيضها يستحيل معرفة نوع الجنين أيضا

فهذه بعض أسباب الشك في فائدة هذه النظرية اذا كانت صحيحة

***

﴿ روح الاعتدال ﴾

كتاب اجتماعي ادبي وضعه الفيلسوف الاجتماعي شارل واغنر وعربته السيدة المفكرة الفاضلة وسيلة محمد وجعلته هدية لابنتها الصغيرة ، مباحث الكتاب حسنة وترجمته جيدة وأسلوبه سهل وهذا محل مباحثه : الحياة المرتبكة . روح الاعتدال ، الفكر ، والقول والواجب والاعتدال ، الاعتدال والمطالب والسرور ، المال والاعتدال ، وحب الظهور ، الحياة العائلية والاعتدال ، الكسب والاعتدال ، التربية والاعتدال ، الخاتمة وصفحاته ١٥٤ بمطبع رسالة التوحيد وطبعه نظيف وثمنه خمسة قروش ويطلب من مكتبتي المنار والمعارف بمصر والكتاب مفيد يجدر بكل قارئ ان يطلع عليه وربما نقل منه الى المنار بعض المباحث وأحب ان أنقله كله ان أمكنني ذلك

﴿ الهاشميات ﴾

ثمان قصائد من شعر الكميت الاسدي يمدح بها بني هاشم ويليها مختارات من شعر الكميت وغيره من فحول شعراء الصدر الاول وجميع ذلك مذيل بشرح بديع يفيد المبتدي ولا يستغني عن جمعه المنتهي والكتاب مصدر بمقدمة في تاريخ الشيعة والتشيع مقتضبة لطيفة مفيدة جداً ثم ترجمة الكميت وصفحاته ١٢١ بقطع المنار وقد طبع طبعاً نظيفا ويطلب من مكتبة المنار بمصر وثمنه عشرة قروش

الكتاب واضعه محمد محمود افندي الرافعي خدمة لادب اللغة العربية ونعمت الخدمة هي فانه جمع ما لايكاد يعثر عليه المطالع الا بعد عناء شديد وافاد بهذه المقدمة وذلك الشرح فنرجو الاقبال على كتابه هذا ليتحفنا بثله أو بامثاله، ومن شعر الكميت من الهاشميات قوله :

اهوى عليا امير المؤمنين ولا ... الوم يوما ابا بكر ولا عمرا
ولا اقول وان لم يعطيا فدكا ... بنت النبي ولا ميراثه كفرا
الله يعلم ماذا يأتيان به ... يوم القيامة من عذر اذا اعتذرا

***

﴿ حديث عيسى بن هشام ﴾

« أو فترة من الزمن »

كتاب «حديث عيسى بن هشام» أشهر من نار على علم ، قرأ هذا الكتاب من قرأه وذاع اسمه وعمت فائدته وهو الكتاب الذي قام بشهرة نفسه بعرض الطبعة الاولى منه على أنظار قراء العربية ، ولقد كنا نسأل عنه فلا نجده وقد طلب من بعض الاقطار البعيدة كيف لا وهو السفر الذي لا يزاحم ولا يدعى ولا ينتحل لغير واضعه لان سلوبه وبلاغته بيان على بيت مؤلفه بيت الادب الجم بيت المويلحي وحسبنا من تقريظه ... خبر اعادة طبعه وأن نشكر للمؤلف الاذن للشيخ محمد سعيد الرافعي ... بمصر باعادة طبعه بعد ان نظر فيه نظرة اصلاح وتهذيب ووضع له جدولا ... شرح فيه الالفاظ اللغوية التي جاءت في اثناء الكتاب فجاء في ٤٦٣ صفحة بقطع ... التوحيد وقد طبع على نوعين من الورق الجيد والمتوسط والثمن من الثاني عشرة ... محلداً بالقماش وعشرون قرشا من الورق الجيد ويطلب من مكتبة المنار بمصر ... المكتبة الازهرية لصاحبها ملتزم الطبع الشيخ محمد سعيد الرافعي الآنف الذكر

﴿ دليل لوندرة ﴾

كتاب وضعه عبد الرحيم افندي فوزي وصف فيه مايلزم المسافر الى عاصمة الانكليز من الاطلاع عليه وضمنه نبذة في تاريخ لوندرة وتكلم عن وسائل النقل وسهولة المواصلات في تلك المدينة الكبيرة وعن معاملها ومعاهدها ومتاحفها وأنديتها ودور العلم والصناعة فيها وعن الاسرة المالكة كلاما مسهبا مفيدا

وقد جعل كتابه هذا بحيث لو قرأه المسافر الى لوندرة لايحتاج الى دليل غيره ولا الى هاد يهديه جاء في ١٢٠ صفحة بقطع رسالة التوحيد

***

﴿ ديوان المصري ﴾

الجزء الثاني

نظم الشاعر الشهير عبد الحليم حلمي افندي المصري، قصائده تزيد على الواحدة والعشرين غير القطع والمقطعات وصفحاته ١٤٤ صفحة وثمنه عشرة قروش ويطلب من مكتبتي المنار والتأليف بشارع عبد العزيز بمصر

اذا نظرت الى الجزء الأول من ديوان المصري ونظرت الى هذا الجزء علمت ان الشاعر يتقدم بشعره كلما تقدمت به سنه واذا لم يطاول ... في حسن اللفظ ومتانة الديباجة ... طرائف نحو المواضيع والمعاني واحكم ان المصري سيكون من نوابغ شعراء هذا العصر ان لم يكن « النابغة » أو اجمل ما نثره من الجزأين مقدمة الحكم على مستقبل الشاعر كما قال هو عن نفسه

وحسبه ان ادعى انه تلميذ امراء الفصاحة وائمة البيان في مصر اسمعيل صبري باشا واحمد زكي باشا واحمد شوقي بك ومحمد المويلحي بك واقرة هؤلاء على دعواه بكونهم

***

﴿ رواية عطيل (بطل البندقية) أو الغيور ﴾

قصة روائية تمثيلية غرامية لشاعر الانكليز في بداية نهضة أوربة الادبية

حقيقية ، والشارع اللادب لنة تضارع في أسلوبها لغة العرب ـ كما قال معربها شاعر العرب خليل مطران

اذا اريد ان يؤخذ تاريخ أمة بدون تقصي الحوادث ومراجعة بطون التاريخ وقواميس السياسة والجغرافية والدين فان لذلك مصدراً آخر هو اللغة ، لغة كل امة دليل على حالتها من ضعف وقوة وعلم وجهل وارتقاء وانحطاط فهي المجهر الذي يجلي بأجلى مظاهرها ويبرز اخلاقها مجسمة محسوسة

لا أثر أدل على مصدره من دلالة اللغة على جميع شئون الامة فاللغة هي المعيار والمقياس لمعرفة جميع مقومات الامة ، واذا أنت نظرت الى حضارة الاسلام الاولى وقبل ذلك قبل أنها وجدت قبل رقي اللغة العلمي الصناعي فلا تأبه له ولا تحفل بكلامه . وما عصر الخلفاء الراشدين الا عصر تأسيس لكيان أمة وتوطيد لدعائم دين وشريعة وملك وما بعد ذلك فقد كانت العصور المدنية التي تمشت فيها الامة بأطوار رقيها مع لغتها جنبا لجنب رفعة وسؤددا

من يوم وقف انتشار اللغة العربية وقف سير التمدن الشرقي الاركان ، الاسلامي المظهر ، ومنذ ابتدأت اللغة تنحط كانت الأمة هي المنحطة بها ومنذ زال تمدن العرب زال تمدن الشرق ومنذ دخل الاعاجم في دولة العرب وامتزجت رطانتهم بين فرائد لغتها فسدت المدنية واللغة معا وجعل الشرق يتدهور من هوة الى هوة فبعض شعوبه انتهى الى هاوية الدمار ، وبعض آخر على شفا جرف هار ، وهناك أقوام يتسكعون ولا يعلمون الى ماهم صائرون

لم يقم قائم في الشرق يدعو الى نهضة حقيقية تدل على حياة قومية الا أمة اليابان ، فان شئت أن تعلم مبلغ رقيها فحسبك دليلا على حياتها تعدد مؤلفاتها وجرائدها التي تنشر بينها و بعد ذلك انظر الى الرقي المحسوس من صناعة وغيرها

اراني قد تجاوزت ما اردت ان اقوله ذلك أن فكرة نهضة شكسبير بلغة قومه وما كان من فكتور هوغو من محاربة التقاليد الكتابية والانشائية وخروجه باللغة عما جرى عليه الاسلاف وتوخي خليل مطران احياء اسلوب في لغتنا العربية لا ينزل عن حد الفصاحة ولا يعلو عن متناول افهام ابناء المدارس والطبقة الراقية

من العامة - تفكرت في هذا وما كان توالي تقدم القوم مع لغتهم وانتشارها مع نفوذهم ومدنيتهم وما ابقته الامة العربية في جميع اقطار المعمور من دين وعوائد وآثار فنية واخلاقية مصحوبا بالغنا مع ان النسبة بين تلك الآثار ودرجة رقي لغة واحدة، فتجدد لي امل بنهضة عربية ادبية ملية تسمو بهذه الامة الى درجة تغير وجه المعمور الجغرافي أو تعيد الدنيا القديمة الى حالة غير هذه الحالة ، وترجع الى ما نحن به .

القصة تمثل الغيرة الزوجية بأظهر أشكالها البدوية وقد صدرها المعرب بمقدمة تكلم فيها عن التعريب وسبب تسمية اوتللو بعطيل

وتكلم على القصة (الرواية) من جهة الاصل ومن جهة التعريب والمقدمة مختصرة ممتعة مفيدة تصور المعاني تصويرا يكاد يلمس باليد فعسى ان يستمر الخليل في هذه السبيل

وتطلب القصة (الرواية) من ملتزم طبعها نجيب افندي متري صاحب مكتبة المعارف ومن مكتبة المنار بمصر وثمنها عشرة قروش صحيحة

***

﴿ معنى الحياة ﴾

تأليف اللورد افري وتعريب وديع افندي البستاني - كتاب معروف نقرأه اهد طبعه للمرة الثانية نجيب افندي متري صاحب مكتبة المعارف ويطلب منه ومن مكتبة المنار بمصر وثمنه خمسة قروش عدا اجرة البريد وقد سبق للمنار تقريظه

(باب الاخبار والآراء)

كامل باشا

﴿ آراؤه السياسية منذ ٢٤ عاما ﴾

نشرت في هذه الايام على صفحات الجرائد مذكرات خصوصية سياسية لكامل باشا رئيس مجلس شورى الدولة الآن ، فرأينا أن ننشرها على صفحات المنار ليقف القراء على آراء كامل باشا السياسية وخبرته بالمسائل الدولية ، وأنه كان يرى في ذلك الزمن أن مصلحة الدولة العلية الاجتماعي في انضمامها الى المحالفة الثلاثية وفي

مصادقة ألمانية بخلاف ما يعرف عنه الآن من ميله الى الاتفاق الثلاثي والى مصادقة انكلترة مما يدلك ان الرجل يدور مع مصلحة بلاده كيفما دارت

ويؤخذ من مذكراته هذه ان رجال الدولة العلية كانوا يعلمون بنوايا ايطالية نحو طرابلس الغرب وغيرها — التي جهلها حتى باشا واعوانه في هذه الايام — وقتئذ وهذا ما نشرته الجرائد من هذه المذكرات :

« فيما يتعلق بدخول تركية في المحالفة الثلاثية حتى تضطر انكلترة الى الجلاء عن مصر بغير شرط أقدم العبارات الآتية :

« ليس بين المحالفة الثلاثية وروسية أدنى ارتباط اذ الغرض الذي وجدت لاجله المحالفة هو رد مطامع فرنسة في البحر الابيض المتوسط وحماية مصالح الدول التي تتكون المحالفة منها . وايطالية اصغر هذه الدول وهي التي تقف في وجه مقاصد فرنسة في بعض المسائل ، وفرنسة لاتستطيع ان تهاجمها لانها تجد بجانبها الدولتين الأخريين . ولذلك أظن ان تركية اذا انضمت الى هاتين الدولتين وزادت بانضمامها قواهما لم تعد فرنسة بعد هذه المزلة تستطيع ان تخاطر بالاعتداء على الاملاك العثمانية »

ومن المؤكد ان روسية لايسرها ان ترى تركية منضمة الى دول المحالفة الثلاثية ولكنها لا تستطيع ان تفعل أكثر مما فعلته حين المعاهدة التي عقدت بشأن جزيرة قبرص بين تركية وانكلترة وكان عقدها ضارا بالمصالح الروسية . بل أنا أظن بالعكس : ان روسية اذا أرادت اذ ذاك ان تهاجمنا كان عملها داعيا الى تقرب انكلترة منا وتقوية الصلات الودية بيننا وبينها . وهذه النتيجة لاتغيب على ما أظن عن رجال السياسة الروسية فهم ولا بد سيفكرون كثيرا قبل ان يدخلوا معنا في نزاع . ولهذا أعتقد ان روسية تضطر اذ ذاك بالرغم منها الى مصافاتنا وتبذل جهدها في اجتناب معاداتنا خصوصا والخطة التي تتبعها سياسة المحالفة الثلاثية ليست معادية لها . والذي يعزز هذا الفهم هو السكوت الذي اتبعته روسية في مسألة امارة البلغار الحديثة »

« ان تركية الآن حرة لاترتبط بها رابطة ما فلها إذن الخيار في انضمامها الى المحالفة الثلاثية »

وبما ان من اغراض هذه المحالفة حفظ الحالة الحاضرة في البحر الابيض المتوسط فليس من المظنون أن دولة من الدول الثلاث التي تتكون المحالفة منها تعتدي على أملاك غيرها في هذا البحر كما أنها لا تسمح للدولة الاخرى الاعتداء على أملاك واحدة منها . ومتى تقرر ذلك أصبح من البديهي أنه متى انضمت تركية الى المحالفة الثلاثية استطاعت أن تحافظ على حقوقها في مصر وان تطلب من انكلترة الجلاء عنها واستطاعت أيضا أن تسوي المسائل الاخرى المتعلقة بالجزائر وتونس

«وليس كل ما تجنيه تركية من انضمامها الى المحالفة الثلاثية قاصرا على اعادة مصر الى الحالة التي كانت عليها قبل الاحتلال الانكليزي بل هناك فوائد أخرى هي : أولا منع اليونان من تحقيق مطامعها في كريت ويانينه ، ثانيا منع النمسة من الذهاب الى سلانيك (أي احتلالها) ثالثا منع ايطالية من احتلال اليانية وطرابلس الغرب ، رابعا منع فرنسة من الاعتداء على سورية ، وأخيرا نستطيع أن نجمل أحوال سلطنتنا المالية والاقتصادية بحيث لا تبقى حجة لتداخل الاجانب

«وفوق ما تقدم من الفوائد فاننا نتمكن من محو أسباب المنازعات والحروب الداخلية والقلاقل والثورات التي تثيرها عوامل الحسد والدسائس والخلاف بين الدول الاجنبية . ومتى محونا هذه الاسباب استطعنا ان نحكم بلادنا بهدو وبنفقات أقل مما ننفقه الآن ثم رأينا مسائلنا تسير بقوة نمو البلاد في طريق التسوية والاصلاح بارشاد حلفائنا

« وتستطيع تركية ايضا ان تحفظ لحكومتها الحرية المطلقة في العمل . بل في امكانها أن تجعل هذا الشرط أساسا لدخولها في المحالفة الثلاثية . ولكن بما ان الشغل الشاغل لنا الآن هو اجلاء الانكليز عن مصر بدون قيد ولا شرط وحماية حقوقنا فيها ، وبما انه يؤخذ من الحديث الذي دار بيني وبين السفير الانكليزي ان انكلترة مستعدة للعودة الى مفاوضة الاستانة في المسألة المصرية فقد اصبح من الواجب ان نرسل الى رستم باشا سفيرنا في لندره تعليمات تفصيلية واضحة ومحددة أو ان يوعز اليه حتى يطلب اجازة شهر ومتى أعطيت له هذه الاجازة جاء الى الآستانة وتلقى التعليمات اللازمة شفاها

«ومتى جاء سفيرنا شرحناله الحالة شرحا وافيا واوقفناه على كل أوجه المسألة ثم منحناه التفويض الذي تقضي به الظروف حتى يكون في قدرته ان يناقش ويفاوض ويتفق مع رجال السياسة في لندرة اتفاقا بحسم هذه المسألة الخطيرة حسما نهائيا . ولكي ألخص افكاري أقول كما قلت دائما (؟) ان من مصلحتنا ان نستعيد المفاوضة مع انكلترة توصلا الى حل المسألة حلا موافقا لنا وتابعا لظروف الاحوال لانه ليس في الامكان الآن ان تعرف الادوار والتغيرات السياسية التي قد تجد في المستقبل والتي قد تفقدنا الفرصة الطيبة السانحة الآن

(قالت الجريدة) وفي تقرير آخر قال كامل باشا :

« إطاعة للامر الشاهاني القاضي بان اعرض رأيي في الشروط والامتيازات التي يجب ان تدخل بها تركية في المحالفة الثلاثية توصلا الى حفظ الحالة الحاضرة في البحر الابيض المتوسط اعرض ما يأتي :

« كان جلالة مولاي السلطان قد اهتم بالتقرير الذي رفعته اليه بشأن المحالفة الثلاثية والذي اشرت فيه بالاصلاحات السياسية الواجب اتخاذها فيما يختص بتسوية المسائل الآتية . اولا وثانيا مسألتي تونس والجزائر اللتين لاتزالان معلقتين. ثالثا مسألة زيارة الاسطول الايطالي لازمير مرة ثانية. رابعا مسألة البلاغ الشفاهي الذي ابلغه سفير ايطاليه لوزير خارجية الدولة فيما يختص بمراقبة أعمال البنك العثماني وحساباته (وهاتان المسألتان الاخيرتان تدلان على سوء نيات ايطالية بالنسبة لتركية) . خامسا عدم استطاعة الحكومة العثمانية الدخول في محالفة احدى دول ــ وهي ايطالية ــ تظهر لها العداء جهارا . سادسا وأخيرا الطريقة التي يمكن التوصل بها الى تذليل هذه الصعوبات . ثم رأيت بعد ذلك ان من مصلحة السلطنة ان نلفت الى هذه المسائل نظر سفيرنا في لندرة وان نزوده بالتعليمات والتفصيلات الكافية كما أوضحت ذلك في تقريري الخاص بالمسألة المصرية ايضاحا يوفق بين مصلحة السلطنة ورغبات انكلترة

« فجوابا على الارادة التي جاءتني على الامر المؤرخ في محرم سنة ١٣٠٦ أقول ان المحالفة التي أساسها حفظ الحالة الحاضرة في البحر الابيض المتوسط ليست

اهميتها قاصرة على الدول المحالفة وحدها بل تشمل كل الدول التي لها املاك في البحر الابيض المتوسط وشروط هذه المحالفة موافقة للدول المتحالفة . فبما ان مصر محتلة بانكلترة وتونس والجزائر واقعتان تحت سلطة فرنسة بالرغم من احتجاجات تركية فاذا دخلنا في المحالفة الثلاثية فمن الواجب ان نحفظ لنفسنا الحق في طلب جلاء الانكليز عن مصر والفرنسيين عن تونس والجزائر

« أما فيما يختص بايطالية فلم يحدث في الماضي وإلى الآن نزاع بيننا وبينها ولذلك فاني اعتقد ان خطتها العدائية التي اظهرتها اخيرا ليست الا بتحريض دولة أخرى لان المتحالفين يجب أن يتعاضدوا أو ان يخدم كل منهم مصلحة الآخر . مثال ذلك أن سفير فرنسة حينما أراد ان يحول دون المصادقة على الوفاق الذي كتب بيننا و بين انكلترة بشأن الجلاء عن مصر قدم الى جلالة السلطان تقريرا نصح فيه برفض كل مساعدة تأتي من قبل انكلترة و بالاعتماد على التأكيدات الصريحة التي تقدمها الحكومة الفرنسية والتي تتعهد فيها بمساعدتنا مادياً وأدبياً في مسألة الجلاء عن مصر . اما الحكومة الالمانية والنمسة فكانتا تنصحاننا بالمصادقة على الوفاق قائلتين انه منطبق على مصلحتنا وان امتناعنا من المصادقة عليه لا سبب له سوى تأثير فرنسة علينا (!)

« وفعلا كل الدول - وعلى الخصوص ألمانية عدوة فرنسة الالدودة وانكلترة - استاءت لعدم المصادقة على ذلك الوفاق . وقد كانت ايطالية تحرض فرنسة ولا نريد من هذا التحريض سوى ان تثبت لنا أن فرنسة عاجزة عن مساعدتنا . وليس لايطالية وحدها قيمة ما لانها لا تفعل غير اتباع الخطط التي يرسمها حلفاؤها .

« لذلك أرى بعد التمعن انه يجب علينا ان نعتقد ان جلاء الانكليز عن مصر متوقف على امضاء الوفاق المختص بحرية المرور في قنال السويس . وقريبا أعرض على جلالة السلطان صورة من الوفاق الخاص بحفظ مصالح تركية والذي يظن كل الظن ان انكلترة ترضى بما فيه اه
